





# الأسلحة والشجر

## دراسة موضوعية

د. إيهاب محرم عماره

كلية الآلسن — جامعة عين شمس

مكتبة الآداب

٤٢ ميلاد الدوبرا — القاهرة

ت: ٣٩٠٠٨٦٨ — ٣٩١٩٣٧٧



## إهداء

إلى والدي رحمه الله

فكثيرا ما عارض اتجاهي لدراسة الأدب ، وتمنّيت لو تخصصت  
في أحد علوم الدين .

وعزمت أن أرضيه ما أمكنتني ، حين أحاول الإفادة من دراسة  
الأدب لحماية اللمة ، والدود عن الدين ، وهذه إحدى محاولاتي ، مُقرّبي  
لله ، وإرضاء لأبي .

د . إخلاص شكري عمارة



## مقدمة

حين هممت بتناول موضوع الإسلام والشعر ، كنت أعلم أن عشرات من الباحثين ومؤرخي الأدب قد سبقوني إلى تناوله ، واطلعت على وجهات نظرهم في أغلب المؤلفات ، وأفدت منها ، ومع ذلك فويت رغبتي في معاودة النظر لهذه القضية وكلّي ثقة في أن أقدم جديدا ، وأحسبني فعلت .

لقد جمعت كل الآيات التي تحدثت عن الشعر والشعراء في القرآن الكريم ، وفسرتها واستخلصت ما عاجلته من نقاط ، مستعينة بآراء السابقين وشروحهم .

ثم عرضت أغلب ما أثر عن الرسول - ﷺ - من قول أو فعل يتصل بالقضية وقسمته إلى أنواع واجتهدت في فهم الموقف الحقيقي من خلال المتعارض والمتفق من الأحاديث والمواقف النبوية .

وأكملت بذكر أمثلة من الأقوال والأفعال المروية عن صحابة رسول الله - عليه السلام - وخلفائه الراشدين - رضوان الله عليهم جميعا . وبعد ذلك استعرضت آراء المؤيدين والمعارضين في مناقشة تفصيلية منسقة .

وخلال المناقشة أسهبت في مواضع لم يوفها الآخرون حقا ، ورددت على شبهات لم يتوقفوا أمامها ، وصححت مفاهيم وأفكارا غابت عنهم ، أو تجاوزوها .

ذلك هو الجانب النظري في القضية ، لسكنى أضمت لها جانباً تطبيقياً .  
 كي أبرهن على ما توصات إليه من نتائج . لقد انتهيت في المجال النظري  
 إلى أن للإسلام أثر إيجابي محمود على الشعر العربي ، وأنه ازدهر وتطور  
 في ظل الإسلام فأسفقت مجالاته وتمددت أغراضه ، كما ارتقت أساليبه ،  
 حين تغيرت - بفضل القرآن والحديث - مقاييس البلاغة ، وشروط  
 البيان والفصاحة .

وإثباتاً لما ذهبت إليه قدمت عدداً من النماذج الشعرية في عهد  
 النبوة والراشدين ، وعرضتها على مقاييس النقد والدراسة الفنية ، كي  
 أكشف ما طرأ على الشعر الإسلامي من تطور وتجدد وحيوية .  
 إنني لأرجو أن أكون قد حققت بعض ما تطلعت إليه ، حين عاودت  
 الكتابة في موضوع سبقني إليه الكثيرون .  
 والله الهادي سواء السبيل .

د . إخلاص نحري عمارة

روكسى ت : ٢٥٦٢١٥



## تهم باطلة

دأب المغرضون من أعداء الإسلام والعروبة (١) على النيل منهما بشق السبل وكافة الوسائل ، فإن أعيانهم العداء السافر والحرب الضروس ، لجأوا إلى مقاتل خفية وإلى طرق ملتوية ، فهذا إغراء بما عندهم من بضاعة مادية ومعنوية حتى ينجذب إليها المسلمون والعرب ويمرضون عما لديهم ، ثم ينكرونها ويتجاهلونها ، ومن ثم ينسونه فيتغربون ، ويتشتتون ويضيعون بدداً .

(١) للمغرضون يتمشون في : المشركين والمنافقين ، ثم الشغوبيين ، فلا يستعارو المستشرقين ، ثم من مدارف ركا بهم عن جهل أو عن سذاجة من العرب والمسلمين الذين استغربوا لأنهم تلقوا عنهم وثقافتهم في الغرب ففتشوا روحه وفكره ، فضعفت عروبتهم ووهن إسلامهم .

وأنا لا أفصل بين العروبة والإسلام ، فكل مسلم عربي ، لأنه كي يحسن إسلامه لا بد أن يعرف العربية - لغة القرآن والحديث - فإذا عرفها تعرب لسانه وفكره ، وبالتالي تعرب وجدانه وهواه فصار عربياً وإن لم ينتسب للأصول العربية من جهة الجنس .

أما من يخشون الجمع بين العروبة والإسلام ، لوجود عرب غير مسلمين ، فليطمئنوا لأننا نرحب بغير المسلمين بيننا ما داموا عرباً بالفكر والقلب ، وكل ما قصده هو أن دائرة العروبة أوسع من دائرة الإسلام ، فكل مسلم عربي وإن لم يكن بالضرورة كل عربي مسلم .

وهذا انتقاص مما عند المسلمين والعرب من بضاعة معنوية ومادية.  
وازاراء بها وتحقير لها ، حتى يعانها أصحابها ويتخلوا عنها ، فيلقوا  
هويتهم وأصالتهم .

وقد تكون الوسيلة هي إثبات العرب والمسلمين من حيث لا يحتسبون  
وطعنهم في ظهورهم وهم لا يشعرون ، وذلك ما تمثّل في إبداء الآراء  
وعرض وجهات النظر حول أدبهم وحضارتهم وتراثهم ، فإذا كان الشعر  
مفخرة العرب ونفهم الأول ومجال نبوغهم ، فإن هناك شكوكا حول نشأته  
البعيدة ، وتأثره بأشعار الأمم الأخرى ، ثم هناك ريب ، بل تأكيدات  
حول انتكاسه وضعفه بعد ظهور الإسلام لأنه عاداه وحقره وهاجم  
مبدعيه .

وإذا كانت الثقافة العربية الإسلامية قد بلغت ذروة لم تبلغها ثقافة  
أخرى في العصر الإسلامي أيام بني أمية والعباسيين ، فقد انهارت وتراجعت  
في العصر التالي أيام الدويلات والمماليك ، ثم انطمست تماما وخذ كل بصيص  
لها في ظل الخلافة التركية ، وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية قد  
تميزت بسمات فريدة وتألقت بخصائص يعزى على الغرضين فهمها واستيعابها ،  
فليكن غمزها من حيث كونها جامدة متخلفة ، تتنافى مع التقدم ،  
ونخاصم الحداثة .

وإذا كانت اللغة العربية هي جوهر العروبة ورابطة الإسلام ، وهي  
النسب الحقيقي لكل عربي ومسلم ، هي لغة القرآن وحافظة الدين ، وهي  
أعرق اللغات الحية ، وأعظمها ثراء ، وأفصحها بيانا ، وهي الوحيدة

التي قاومت كل عوامل الفناء ، وتطورت مع الزمن دون أن تفقد جوهرها أو تتغير خصائصها - إذا كانت اللغة العربية كذلك - فليكن البحث عن محاولات خبيثة لإضعافها تدريجيا حتى يتم القضاء عليها ، لتسكن الدعوة إلى كتابتها بالحروف اللاتينية مرة ، والمناداة بكتابتها كما تنطق مرة أخرى (١) ولنكن الثالثة - الفاعمة - هي الدعاية لتوسيع نفوذ اللهجات المحلية ، وكتابة الأدب بها ، حتى تسود لهجة كل إقليم فينعدم التفاهم ويتم الانفصال ، وتموت الرابطة التي تجمع المسلمين والعرب على امتداد أوطانهم وألسعاهم .

وأفسى وأوجع ما في تلك المحاولات أن القائمين بها ليسوا أجنب وأعداء فقط ، ولكن يشاركونهم ويشبههم معهم للأسف وللخجل عرب ومسلمون .

وفي تصوري أن من أوجب واجبات المثقف المسلم ، التصدي لتلك المحاولات ، وإمالة اللثام عنها وكشف أهدافها الأصلية ، وهذا التصدي لا يقتصر على مقالات ودراسات صريحة مباشرة متجذبة لها ، ولكنه يجب أن يتم في كل لحظة ، وعلى كافة المستويات وفي شتى المجالات ، ولا إخال مجال الأدب إلا أوسيع المجالات وأهمها ، لذلك تأتي الصفحات التالية لمعالجة زعم وادعاء - بل الأخرى أن يقال افتراء - شارك فيه الكثيرون عن سذاجة وعدم تبصر ، أو عن سوء قصد وخبث نية ، ذلك الزعم

---

(١) صاحب الدعوة الأولى هو عبد العزيز فهمي وبغده سلامه موسى ، وصاحب الثانية هو طه حسين الذي كتب اسمه أيامها هكذا : طاهـا .

الذى نال من الشعر العربى فى عصر النبوة والراشدين بترديد مقولات خاطئة ، مثل عداوة الإسلام للشعر ، وانشغال المسلمين عن نظامه وروايته ، وقلة عدد الشعراء ، وضعف المستوى الفنى . وليس فى مناقشة هذه الادعاءات ما يثبت من الاسلام أو يضعه موضع الاتهام الذى يتطلب دفاعا وتفنيذا وتبرئة<sup>(١)</sup>

بل هو تمديد للغباء الذى قد يحجب الرؤية الصحيحة عن الناشئة ، ودحض لمزاعم قد تكدر نصاعة الحق ولو للحظات .

\* \* \*

---

(١) قراءة فى الأدب الإسلامى والأموى : د . محمد عبد العزيز الموانى .

أولا : موقف القرآن الكريم

خير ما نستعمل به حديثنا في قضية الإسلام والشعر هو استعراض الآيات التي حوت لفظ شعر أو شاعر أو شعراء ، لأن القرآن دستور الإسلام ومنبع الأحكام ، ومنه ينهل الجميع ويستمدون .  
لقد وردت الألفاظ الثلاثة في ستة مواضع عبر كتاب الله الكريم ، وهي على الترتيب :

١ — قال تعالى : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراء ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ (١) .

٢ — ويقول عز شأنه ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (٢) .

٣ — كما قال جات حكمته ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ (٣) .

٤ — وقال — وهو أصدق القائلين — ﴿ ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٥ (٢) الشعراء ، آيات ٢٢٤/٢٢٧

(٣) سورة يس آية ٦٩ (٤) سورة الصافات ، آية ٣٦/٣٧

٥ — ويقول سبحانه ﴿ فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا  
مجنون ، أم يقولون شاعر تترصص به ريب اللذون أن تترصوا فإني معكم  
من المترصين ﴾ (١) .

٦ — وقال الحق - تبارك وتعالى ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا  
تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليل ما نؤمنون ،  
ولا بقول كاهن قليل ما نذكرون ، تنزيل من رب العالمين ﴾ (٢) .

وحين نتدبر معاني الآيات الكريمة فسنجد لها تقبها إلى ثلاثة  
اتجاهات ، أو تتعرض لثلاث قضايا هي :

١ — اتهام الكفار للرسول - ﷺ - بأنه شاعر ، ونفي القرآن لهذه  
التهمة الباطلة .

٢ — ادعاء الكفار والمشركين أن القرآن العظيم شعر أو من كلام  
الشعراء ، ودفع الآيات البينات لهذا الادعاء .

٣ — أما القضية الثالثة التي تناولها الآيات فهي حديث عن الشعراء  
وسلوكلهم ، فتقسمهم إلى فئتين بحسب سلوك كل فئة ، ثم تجدد هدير  
المشركين الظالمين .

١ — القضية الأولى : نفي صفة الشاعرية عن الرسول - ﷺ -  
فلا هو شاعر يمتلك سوهبة الشعر ، ولا هو قد تعلم وأجاد أدوات الشعر

---

(١) الطور : آية ٣٩/٣٠

(٢) الحاقة : آيات ٣٨/٤٣

وعلموه . وقد تكررت مناقشة هذه القضية في عدة آيات هي قوله سبحانه :

- (١) ﴿ بل هو شاعر . . ﴾ الانبياء ، آية ٥
  - (٢) ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ يس ، آية ٦٩
  - (٣) ﴿ ويقولون أننا لئاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ الصافات آية ٣٦
  - (٤) ﴿ أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون ﴾ الطور ، آية ٣٠
- لقد بهت الكافرون حين واجههم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن ، كلام إلهي لا يأتيه الباطل ، ولا يدانيه في البلاغة والبيان أى كلام آخر ، وأسقط في يد المكابرين لأنهم لم يجدوا ما يردون به عليه من منطق سليم وحجة واضحة ، فليس إلا المناد والمكبرة ، والانحراف إلى قضايا فرعية ، وادعاءات كاذبة ، واتهموا الرسول - وهو الصادق الأمين - بأنه شاعر ، مثلما اتهموه بأنه ساحر ، أو كاهن ، أو مجنون ، أو يتلقى عن الشياطين ، أو يعرف أساطير عن الأمم الغابرة فيحكىها ، أكاذيب وافتراءات يتصدى لها القرآن العظيم بآياته البينات فيفندها واحدة بعد أخرى ، نافيا تلك الصفات التي يحاول المشركون إلصاقها بالرسول الكريم بغيا وهدوانا .

ولو رجعنا للآية رقم واحد - وهي من سورة الانبياء - لوجدنا قبلها آيات كثيرة تحكى إعراض الكفار عن ذكر الله ، وإصرارهم على رفض ما يأتيهم به الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لأنه - كما يدعون - بشر مثلهم ، ولا بد أن القرآن - حسب ظنهم مسحر أو شعر أو خيالات زائفة ، يقول - جلت حكمته -



﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدث إلا استمعوه وهم يلعبون ،  
 لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم  
 أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ، قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض  
 وهو السميع العليم ، بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا  
 بآية كما أرسل الأولون ﴾ .

أما الآية رقم ثلاثة فهى نفى صريح لمعرفة الرسول الكريم بفن  
 الشعر وأدواته ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ ثم تأكيد جازم  
 بأن ما يأتى به هو قرآن يبين الحق ، ويهذى إلى سواء السبيل ليذكر  
 أولوا الألباب ، وقد استخدم أسلوب الحصر فنفى أن يكون أى شيء  
 مما عرفه البشر ﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾

وفى الآيات رقم خمسة يدعى الكفار والمفركون على الرسول  
 عليه السلام ، صفة الجنون زيادة على الشاعرية ويعود القرآن  
 من جديد إلى نفى الادعاء بالمنطق الواضح والحجة البينة ﴿ بل جاء  
 بالحق وصدق المرسلين ﴾ ثم تتوالى التهم فتجسد الكهانة  
 بالإضافة إلى الشاعرية والجنون ، ويأتى النفى صريحا قاطعا ﴿ فذكر فما  
 أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ .

ولا تتوقف الافتراءات بل تزداد ، فـ يكون السحر والكذب :  
 ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ (١)  
 ولم يكن كفار مكة ومشركو قريش هم أول من اذترى على الرمل تلك

---

(١) سورة ص ، آية ٤

الصفات ، لقد حكى الله جل شأنه عن تكذيب الكفار لأنبيائهم منذ إبراهيم وموسى وصالح ونوح - عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه (كذلك ما أنى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) (١) .

إن الجوهر في هذا النفي ، والمهدف الأسمى منه هو إثبات نبوة محمد عليه السلام ، وكونه رسولا من عند الله ، فلا هو شاعر ولا ساحر ، وليس بكاهن ولا مجنون ، إنه رسول الله ، وهذا التأكيد على نفى جميع الصفات غير صفة النبوة والرسالة هو في نفس الوقت إثبات للوحي ، وأن ما جاء به قرآن تلقاه عن ربه بطريق جبريل عليه السلام .

فليس في نفى الشاعرية غرض من شأن الشعر ، أو تقليل لقيمة الشعراء ، فلقد كان ، عليه سلام الله أمياً ، ومع ذلك رفع الإسلام العلم والعلماء إلى أعلى الدرجات .

وقد فسّر ابن رشيق ، الآية قائلاً (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) معناها : ما الذي علمناه شعراً ، وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً . ولو أن كون النبي ﷺ غير شاعر غرض من الشعر ، لسكّفت أمميته غضا من السكتابة (٢) ولو تروى الشعر كون قليلاً لما اندفعوا إلى وصف النبي الكريم بالشاعرية ، فهو لم يؤثر عنه نظم الشعر أبداً قبل البعثة أو بعدها ،

---

(١) سورة الفارسيات ، آية ٥٢

(٢) العمدة لابن رشيق : ج ١ ص ٣١ من قراءة في الأدب الاسلامي والاموى : د . عبد العزيز المواقى ص ٧

كان يسمعه فقط ولكنه لا يشده ، وحين يريد الاستشهاد بشيء عنه ، كان يطلب من أحد الصحابة قوله ، أو يشده بعد تغيير ترتيب الجمل والكلمات حتى يختل وزنه ويفقد خاصية الشاعرية .

وقد حاول بعض الدارسين تقصى الحكمة الإلهية في حفظ الرسول منزها عن قول الشعر ، فقالوا إنه بعث بين قوم يفخرون بروعة البيان ومحر الشعر ويزهون بالبلاغة ، وكانت معجزة الرسول وبرهات رسالته - القرآن - معجزة بيان ساحر وبلاغة رائمة ، فلو كان الرسول ينظم الشعر لاختلط نظمه مع القرآن ، والتبس على الناس .

وفي رأي أن هذا غير لازم لسببين : أولهما أن القرآن لون من البيان يخالف الشعر تماما ، فلن يختلط به ولن يلتبس على قوم تمرسوا قروناً بالشعر وفنونه كعرب الجزيرة .

وثانيهما : أن الله تعالى قد عهد بحفظ القرآن من التحريف والتزييف ، ومن الخاط والالتباس (إنا نحن نزلنا الذكر وإنالاه لحافظون) (١) وكان نزول القرآن بالنص (٢) ومنجها ، وتحفيظ الرسول إياه ، ومراجعته فيه مرة بعد أخرى وتوجيهه الله بالترث والأناة : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩ (٢) كانت الكتب الأخرى تنزل بالمعنى الذي تتعدد صياغاته فيدخله التحريف والادعاء .

قرآنه ، ثم إن علينا بيانه (١) .

وكذلك ذهب البعض إلى أن حكمة نفي الشعرية عن الرسول تكن في أنه لو نظمه لوجب تفوقه على الجميع لتكون آية ، وإن يكون له التدقيق في نظمه إلا إذا سار على مقاييسهم في الشعر ، من هجاء مذهب ، ونثر كاذب وغزل جارح ، وحديث عن الجحر والميسر ، وأوهام وخيالات مضللة ، وكل ذلك يتعارض مع طريق النبوة ومبادئ الإسلام ، ولو كان الرسول شاعراً لظن السكفار أن بلاغة حجته وجوامع كلمه تأخر له من الشعر وتأثيره ، وسوف يدعون أن بلاغة القرآن وإعجازه البياني هو من وحى الشياطين الذين يوحون للشعراء أيضاً ، وقد كان نفي الشعرية عنه كذلك دحضا للظن بأن رسالته خيالات ورؤى ، وأن القرآن شعر من نوع جديد ، وكان نفي الشعرية عن الرسول ضرورياً لما عرف عن بعض الشعراء من سلوك شائن ، فلا يصح أن يتصف الرسول بصفة تضعه موضع ريبة واتهام .

والمهم في كل ذلك أن النفي لا يتوجه إلى الشعر في ذاته ، ولكن هدفه تنزيه الرسول عن كونه شاعراً ، لأن الشعر يقوم على التخيل والوهم والمبالغة ، بينما يقوم منهج الرسالة على اليقين وقوة الإقناع ، ووضوح المنطق ، ونصاعة الحجج ، فمنهج الشعر يختلف ويتعارض مع منهج الرسالة بهصرف النظر عن انصافه بالحسن أو القبح .

(١) سورة القيامة آية ١٦ - ١٩

## ٢ — القضية الثانية : مناقشة الادعاء بأن للقرآن شعر . ومن

الواضح ارتباطها بالسابقة وتداخلها فيها ، إذ من المنطقي أنه ما دام الرسول الكريم ليس شاعراً ، فإن القرآن ليس شعراً ، وبعبير آخر ، ليس القرآن شعراً ولا يشبه الشعر ، لأن النبي الذي بعثه عن ربه لم يكن ينظم الشعر ، ولا يعرف أساليبه وفنونه .

وقد وردت هذه القضية واضحة بيّنة في الآيات رقم (٦) ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين﴾ .

على أن الآيات رقم (١) تتناول القضية أيضاً في قوله تعالى ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء﴾ ثم يؤكد سبحانه ﴿بل جاء بالحق﴾ .

لقد كان الهدف من نفي الشعارية عن الرسول الكريم هو إثبات نبوته ، وتلقيه الوحي عن ربه ليبعثه إلى أمته ، ثم إلى البشرية كافة ، وهذا الوحي هو القرآن الكريم - كلام الله - نقله جبريل - عليه السلام - إلى محمد ﷺ فهو ليس تخيلات وأوهام نائم ، كما ادّعى في الآيات رقم (١) ولا هو قول شاعر أو كاهن كزعمهم في الآيات رقم (٦) ، وهو كذلك ليس مسجراً أو أساطير كما تخرصوا في آيات آخر ، ولكنه الحق الذي يتفق مع ما جاء به الرسل السابقون حسب ما تؤكد الآيات رقم (٤) ، ثم هو قول رسول كريم ، منزل عليه من رب العالمين كما تقطع الآيات رقم (٦) . وتنزيه القرآن عن أن يكون شعراً غاية إثبات أنه كلام الله فقط ، ولم

يمكن قصده التهوين من قيمة الشعر ، والامر في ذلك مثله مثل تنزيه القرآن الكريم عن كونه سحرا ( وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين ) (١) وكذلك نفى ما ادعوه من أن القرآف قول من الشيطان ( وما هو بقول شيطان رجيم ) (٢) وادعى الكفار فيما ادعوه أن القرآن من الاساطير ( واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ) (٣) .

ولا مرء في أن هدف الكفار والمشركين من ادعاءاتهم ، هو تكذيب الرسول - ﷺ ورفض نبوته ، فكان المنطق هو رد القرآن الكريم بتنفيذ افتراءهم وإثبات نبوة محمد الآمين ، وصدقه فيما بانءه عن ربه . وحول ادعاء الكفار بأن القرآن شعر ، يبدي باحث فاضل ملاحظة تقول د من الغريب أن الرسول الكريم الذي لم يكن يعلم الشعر ، كان يدرك أن ما يوحى إليه ليس شعرا ، على حين أن أهل مكة الذين يفترض أنهم كانوا يعرفون الشعر حين يسمونه أو يروونه ، ظنوا بأن هذا الوحي كان شعرا ، وكان المتوقع عكس ذلك - انظر دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوى (٤) ونرد على تساؤله في نقطتين :

- 
- (١) سورة سبأ ، آية ٤٣ (٢) سورة التكويد ، آية ٢  
(٣) سورة النحل ، آية ٢٤ (٤) قراءة في الأدب الاسلامى  
والأموى ، د . عبد العزيز الموائى ، ص ٦ الهامش .

(١) لا أظن أنه من الصواب القول عن عربي عاش في مكة أيام الجاهلية ، لم يعلم الشعر ، إلى الدرجة التي لا تمكنه من التمييز بينه وبين فنون القول الأخرى ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قد سمع الشعر طوال حياته ، وكان يوجب بالجميل منه ويستنشد ، ويفاضل بين الشعراء . حقيقة أن المفاضلة قد تسكون على أسس خلقية ودينية غالباً ، لكنها لا تخلو عن معايير فنية أيضاً بدليل أنه حين أراد اختيار شاعر مسلم للرد على هجاء قريش له ، استمع إلى عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، وفضل اختيار حسان رغم تساوي الثلاثة في اعتناق الإسلام ، والإيمان بقيمه والاستعداد للدفاع عنه وعن رسوله عليه السلام ، فلا شك أنه وجد في حسان مقدرة فنية ، وتمكناً من أدوات الشعر ، يؤهله للنجاح في أداء المهمة أكثر من رفيقيه ، أما قوله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ فلا يعني بالتأكيد - جهل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بالتفريق بين الشعر وغيره ، وإنما يعني أن الرسول لا ينظم الشعر ولا يمتلك الموهبة .

(٢) وكون الكفار يظنون أن القرآن شعر ، تعبير غير دقيق ؛ لأنهم في قرارة نفوسهم متأكدون أن القرآن ليس شعراً ، وإنما أرادوا بهذا الادعاء إثارة غبار الأكاذيب حول النبي الكريم ، وحول القرآن مكبرة وعناداً ، وشغلاً للناس عن قضية الإيمان بالدين الجديد بتضاياف فرعية ، فهم لا يظنون ولا يلتبس عليهم أمر القرآن وكونه ليس شعراً ، ولكنهم يدعون ويكذبون ، بدليل ادعائهم بأنه سحر واساطير وخيالات نائم ،

وهم حين أطلعتوا تلك الافتراءات كانوا قد خططوا لها وكشاوروا فيها ،  
لقد حكى أنهم اجتمعوا يتداولون أمرهم حول كيفية مواجهة الرسول  
الكريم ، وتكذيبه ، لصرف الناس عنه وعن رسالته ، فقالوا تنهجه  
بالكهانة ، فرد الوليد بن المغيرة قائلاً والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا  
الكهان ، فما هو بزمرة الكاهن ولا سحبه . قالوا : فنقول ههنا ،  
قال : ما هو ههنا ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه  
ولا تخالجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله :  
رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه وبسيطه ، فما هو بالشعر ، (١) ومن  
ذلك يتبين أن كفار مكة ومشركيها لم يلبس عليهم الأمر ولا ظنوا أن  
القرآن شعر ، ولكنه العناد الذي يورث الكفر ، والمكابرة التي تعمى  
عن الحق ، والجذل الأجوف لا يبنى معرفة الحقيقة أبداً ، وإنما يهدف  
إلى التضليل والبلبله .

وفي مجال الابهلة وإثارة الفبار ، ربما تدخل قضية فرعية أخرى هي  
وجود آيات من الذكر الحكيم على أوزان شعرية معروفة (٢) وربما  
اجتمع إلى الوزن اتفاق الفواصل في آيات كثيرة ، وهو ما يشبه القافية  
في الشعر . ومن تلك الآيات قوله تعالى :

- 
- (١) نحو أدب إسلامي معاصر : أسامة يوسف شهاب ص ١١٦  
(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : د . محمد عبد القادر  
أحمد ص ٤٦/٤٧



﴿ إن يفتنوها يغفر لهم ما قد سلف ﴾ (١)

﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ (٢) .

﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ (٣) .

﴿ ودانية عليهم ظلالها ، وذلّت قطوفها تذليلًا ﴾ (٤) .

﴿ والمعاديات ضبحا ، فالموريات قدحًا ﴾ (٥) .

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ (٦) .

وآيات أخرى من هذا النوع ، وقد رد الجاحظ على من يتوهم وجود الشعر في القرآن قائلا « اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم ، لوجدت فيها مثل : مستعملان فاعان كثيرا ، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن رجلا من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ، لقد تكلم بكلام في وزن : مستعملان مفعولان ، فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يتصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا ، (٧) .

ولا ريب أن اشتراك باحثين عرب في مناقشة هذه النقطة قد يوقع البعض في الخطأ ، ولسكننا يجب أن نفرق بين الهدف التعليمي للباحثين

(١) سورة الانفال ، آية ٣٨ (٢) المؤمنون ، آية ٣٦

(٣) الصافات ، آية ٦١ (٤) الإنسان ، آية ١٤

(٥) المعاديات ، آية ١ ، ٢٠ (٦) المسد ، آية ١

(٧) البيان والتبيين : ج ١ ص ١٥٤ دار صعب ، بيروت .

المرب ، وهو الذى يسعى إلى رصد الظواهر الفنية فى القرآن الكريم ، وإثبات أنه معجز ، ورغم وجود آيات على بعض الأوزان الشعرية ، إلا أنها ليست شعراً ، وهى تسمى وتنزه عنه ، والشعر لا يشابهها ولا يداينها ، فى حين أراد المناقون والمستشرقون من إثارة تلك النقطة إحياء زعم مشركى مكة وكفارها بأن القرآن ليس وحياً من الله ، وأنه من صنع بشر ، وفيه ما يشبه الشعر وعائلته .

والاقرب للهدى أن ندع مثل هذه المناقشات حق لا تقع فى الخطأ .

٣ - القضية الثالثة : حديث عن الشعراء ، وهو ما ورد

فى قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً وانصبروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ إن الآيات تحدثت عن فريقين من الشعراء : فريق مذموم مضروب عليه ، لأسباب تتعلق بسلوكه ، وأسلوب حياته ، ولا تتعلق أبداً بموهبة الشعر ونظمه .

وفريق مرضى عنه محمود عند ربه لأسباب تتعلق بهى الأخرى بالتصرفات ومنهاج الحياة ولا تهم الشاعرية من قريب أو بعيد . وقد ذكر صاحب الكشف (١) فى أسباب نزول هذه الآيات ، أنها نزلت فى الشعراء المشركين : عبد الله بن أبى وهب ومسافع بن عبد مناف

(١) تفسير الكشف ، ج ٢ ص ٤٤٠ ، من «نحو أدب إسلامى معاصر»

ص ١١٧

وَأَبَى عِزَّةَ الْجَمْعِ وَأُمِيَّةَ بَنِ أَبِي الصَّاتِ ، قَالُوا لَنَحْنُ نَقُولُ مِثْلَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ ،  
وَكُنَّا يَهْجُونَهُ ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِمُ الْأَعْرَابُ يَسْتَمِعُونَ إِلَى أَشْوَارِهِمْ وَأَهْاجِيهِمْ ،  
وَلِذَلِكَ فَهِمُ النَّارُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ ، كَمَا يَتَّبِعِي ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّهُ بَعْدَ نَزُولِ  
هَذِهِ الْآيَاتِ تَوَجَّهَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ  
إِلَى الرِّسُولِ وَهُمْ يَبْكُونَ ، قَالُوا قَدْ عَلِمَ اللَّهُ حِينَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ أَنَّا  
شُعْرَاءُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾  
وَقَالَ : أَنْتُمْ . ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

قَالَ : أَنْتُمْ ، ثُمَّ أَكْمَلَ : ﴿ وَانْتَعَمُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ ﴾ وَقَالَ : أَنْتُمْ ،  
وَيَعْقِبُ أَبُو هِلَالٍ الْمُسْكِرَى عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ قَائِلًا « وَاسْتِثْنَاءُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِ الشُّعْرَاءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الشُّعْرَاءِ هُوَ الْمَذْمُومُ  
مِنْ جِهَةِ الصَّوَابِ إِلَى الْخَطَأِ ، وَالْمَسْرُوقِ مِنْ جِهَةِ الْإِنْصَافِ وَالْمَدْلُ إِلَى  
الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، وَإِذَا ارْتَفَعَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ ارْتَفَعَ الذَّمُّ ، وَلَوْ كَانَ الذَّمُّ  
لَا زِمًا لَكُونَهُ شُعْرًا لَمَّا جَازَ أَنْ يَزُولَ عَلَى أَىِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ » (١) .

وَبِالرَّغْمِ مِنْ وَضُوحِ الْآيَاتِ فِي نَصِّهَا عَلَى الْمَذْمُومِ مِنَ الشُّعْرَاءِ  
وَاسْتِثْنَائِهَا لغيرِهِمْ ، لَكِنَّ الْبَعْضَ قَدْ سَارَعَ إِلَى أَنْصُورٍ خَاطِئٍ يَحْمِلُ  
الْقُرْآنَ مَعَادِيًا لِلشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَلِذَلِكَ يَشِيرُ إِلَيْهِمْ « ابْنُ رَشِيقٍ »  
قَائِلًا : فَأَمَّا احْتِجَاجُ مَنْ لَا يَفْهَمُ وَجْهَ الْكَلَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

---

(١) الصناعتين ص ١٣٢ ، نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٠

(والشعراء يتبعهم الغاؤون . .) الآية فهو غلط وسوء تأمل ، لأن المنصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تنازلوا الرسول - ﷺ - بالمجاء ومستوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي ﷺ ، يلتصرون له ويحييون المشركين عنه ، (١) .

ومن عجب أن يقع في هذا الغلط وسوء التأمل من كرم مثل الجاحظ ، له ذكاؤه وبصيرته ، وقدرته على الفهم ، يقول وقال الله تعالى وقوله الحق (وما علمناه الشعر) ثم قال (وما ينبغي له) ثم قال (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فعم ولم يخص ، وأطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التي ذمهم بها تكاف الصنعة والخروج إلى المباهاة ، والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديد ، (٢) وواصل الجاحظ كلامه مستهاردا مطيلا دون إشارة إلى من استثناهم الله عز وجل في الآية من الشعراء المؤمنين الصالحين والمرضى عنهم ، مما يجعل القارئ يتصور أن الذم للشعراء جميعا ، وهو ما يتعارض وباقي الآية . ولكن الصواب أن نفهم الآية على وجهها الصحيح ، والذي يسم الشعراء إلى طائفتين :

(١) العمدة ، ج ١ ص ٣١ ، قراءة في الأدب الاسلامي والاموى

ص ٨

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٢ هـ

طائفة للمشركين الذين صدوا عن دين الله ، وحاربوا النبي وآذوا المسلمين ، فها هموا بوادي الضلالة واتبعوا سبيل الضلالة ، أولئك ساءت عقبتهم ، وإلى جهنم يحشرون .

والطائفة الثانية هم الشعراء انؤمنوا الصالحون الذاءكرون الله كثيراً ، الذين نصرؤا الله ورسوله ، وانتصروا لأنفسهم ممن ظلمهم ، أولئك كمرضى عنهم وإنقر الله لهم وبالجنة يبشرون . وهذه هى الآية الوحيدة التى تتحدث عن الشعراء وسلوكهم ، وهى تعالج الأمر من زاوية إنسانية بحتة : كل إنسان - شاعر أو غير شاعر - إن آمن وعمل صالحاً ونصر الله ورسوله ، فله الجنة .

وكل إنسان - شاعر أو غير شاعر - إذا كفر وصد عن سبيل الله وتعرض بالأذى لارسول والمسلمين ، فله النار وبئس المصير .

خلاصة القول إذن فى موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء .

١ - لم ينزل فى القرآن تحريم واضح صريح للشعر ، ولا ذم له من حيث كونه فناً تعبيرياً جميلاً ، ولكنه يؤذم إذا حاد عن طريق الخير والحق ، وكذلك كل شىء .

٢ - لا يحوى القرآن الكريم نقداً للشعراء من حيث كونهم شعراء ، ولكنهم كبقية البشر : إن أحسنوا أثابوا ونالوا المدح والثناء ، وإن أساءوا عوقبوا واستحقوا اللوم والهجاء .

٣ - نفى شاعرية الرسول مثلاً مثل نفى صفات أخرى ، أو تمم أخرى ، بهدف إثبات النبوة وتكذيب المشركين والكفار فى ادعاءاتهم .

وليس نيلاً من الشعر ، ولا خطأ من شأن الشعراء ، إنما إثبات لتلقيه  
الوحي عن ربه .

٤ — تنزيه القرآن عن كونه شعراً هو إثبات لكونه كلام الله ،  
ونفى أى صفة أخرى ادعاها المشركون كالسحر والاساطير والتعجيلات ،  
فليس في هذا التنزيه تحقير للشعر أو غرض من قيمته ، هو تنزيه للقرآن  
عن مشابهة كلام البشر .

والقول الحق هو أن الشعر في نظر القرآن — كدأى نشاط  
إنساني — له حدوده وشرائطه التي تنفق مع مبادئ الإسلام  
وقيمه ، فإن النظم بتلك الحدود ، وراعى هذه الشرائط ، فلم يخرج عن  
الإطار العام للدين ، وجد مكانه في المجتمع الإسلامي ، ونما وازدهر  
بلا محاربة أو نقد . وإن أعرض عن تلك الشرائط وجاهر بما ينافي  
جوهر الدين ، وبخالف قيمه ومبادئه فلا مكان له ، وهو مطارذ مذموم  
كدأى نشاط هذا مخرب .

بقي أن نتعرف على رأى السنة المطهرة ، وموقفها من الشعر ، فهي  
المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن ، وهي مفسرة ومفصلة لما أجمل أو غرض  
من آياته . وقد حثنا الله جل شأنه على الطاعة التامة للرسول الكريم والخذ  
والسليم بما يحكم ويقول (والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ،  
وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) (١) .  
وعلى ذلك فنحن في استعراضنا لأحاديث الرسول ﷺ — ومواقفه

(١) سورة النجم ، آيات ١ ، ٤

من الشعر والشعراء ، نضع في اعتبارنا أنها لا يمكن أن تعارض أو تناقض  
أو تخالف آيات القرآن في نفس المجال ، وإذا بدا في ظاهرها أدنى مخالفة ،  
فالأولى أن نراجع أنفسنا وفهمنا ، ونراجع الرواية ، وكذا بقية  
الاحاديث والمواقف حتى نصل إلى الحق والصواب وإلى المعنى المراد فعلا .

ثانيا : موقف الرسول - عليه السلام - قولاً وفعلًا



سنة النبي - عليه صلوات الله وسلامه - أقوال وأفعال أو هي آراء ومواقف ، أقوال هي ما يعرف بالأحاديث الشريفة ، وقد حفظت ودونت وحقت لتكون مرجعا للأحكام والفتاوى . والأفعال هي تصرفات وأنواع من السلوك صدرت عن الرسول الكريم في ظروف وأحداث فتتألف الرواة لتكون - أيضا - مثالا يحذى وهديا يتبع . وسوف نتأمل في هذه الأحاديث أو الأفعال ، كما نستقريء تلك التصرفات والأفعال حق أصل إلى الحقيقة .

والسنة المطهرة في موقفها من الشجر والشعراء قد ترحب وتحبذ وتثيب ، وقد تتف بمحايدة موضوعية فترضى عن الشعر إن أصاب طريق الحق ، وتأبأ وترفضه إن ضل وانحرف ، ثم هي قد تعارضه وتطارده لسبب منطقي ودفاعا عن الهدى والدين .

هناك إذن مواقف ثلاثة : كراهة ، موضوعية ، ترحيب . ولنبدأ بموقف الكراهة والمعارضة ، لأن نصوصه قليلة محدودة ، وسوف يفسرها ويرد عليها ما يرد من أحاديث وأفعال في النوعين الآخرين .

أولا : موقف الكراهة ، أقوال وأفعال : عن أبي هريرة .

١ - لأن يمتلىء جوف رجل قيعا حق يريه ، خير له من أن يمتلىء شعرا (١) .

(١) فيض "التقدير : ج ٥ ، ص ٢٥ حديث رقم ٧٢١٨

يريه : يلهظه ويخرجه من فيه .

(٢) وفي رواية أخرى «لأن يتلىء جوف الرجل قبيحا حتى يريه»  
خير له من أن يتلىء شعرا» (١) .

(٣) وفي رواية ثالثة «لأن يتلىء جوف أحدكم قبيحا خير له من أن  
يتلىء شعرا» (٢) .

(٤) وهناك رواية رابعة لنفس الحديث «لأن يتلىء جوف أحدكم  
دما أو قبيحا خير له من أن يتلىء شعرا» .

(٥) يروى في نصين فقط أن رسول الله - عليه السلام - قد نبى  
عن رواية قصيدة وأمية بن أبي الصلت «في رثاء قتلى قريش يوم بدر» وقصيدة  
«الاعشى» التي يرثي بها «علقمة بن علاثة» ، قال البندادي في خزانته :  
ذكر أن النبي - ﷺ - رخص في الأسماء كلها إلا هاتين - وكامتين :  
كلمة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر ، وكلمة الأعشى في علقمة  
بن علاثة» (٣) .

(٦) عن أم المؤمنين - عائشة - رضى الله عنها : قال صلوات الله  
وسلامه عليه : «اللهم من هجراني فإلهه ، فكأن كل هجره هجرته»  
لمنة» (٤) .

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الادب ، باب ما كره من الشعر ص ٤٢

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الاسلامى ص ٤٣

(٣) نحو أدب إسلامى معاصر .

(٤) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤٣

(٧) حين أسلم «بجير بن زهير بن أبي سلمى» أرسل إليه أخوه «كعب بن زهير» يلومه على تركه دين آبائه، ويتطاول على الرسول الكريم في شعره، فأهدر الرسول دمه وأباح قتله.

(٨) كذا أثر عن النبي - ﷺ - أنه أهدر دم الشعراء الذين هجوه، واعتقدوا على أعراض المسلمين.

(٩) وأمر الرسول بقتل رجل ممن كانوا يهجون ه و هرب ابن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي خوفاً لهجاء ما رسول الله (١).

ولنناقش هذه النصوص والأخبار نقاش العقل والمنطق:

(١) يقول العلامة «المنائى» صاحب فيض القدير «في شرح الحديث، خير له من أن يتلى شعرا، أنشأه أو أنشده لما يؤول إليه أمره من تشاغله به عن عبادة ربه، قال التاضي: والمراد بالشعر ما تضمن تشبيها أو هجاء أو مفاخرة، كما هو الغالب في أشعار الجاهلية.

وقال بعضهم: قوله «شعرا» ظاهره العموم في كل شعر، لكنه مخصوص بما لم يشتمل على الذكر والزهد والواعظ والرفائق مما لا إفراط فيه.

وقال النووي: هذا الحديث محمول على التجرد للشعر بحيث يغلب عليه فيشغله عن القرآن والذكر.

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٣

عن سعد وأبي سعيد قالا : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان ، ثم ذكر الحديث السابق ، (١) .

كما ورد في سنن ابن ماجه شرحاً للحديث : وقد فسره الفقهاء على أنه المقصود أن يذاب الشعر على الرجل يشمله عن ذكر الله وعن القرآن والحديث ، (٢) .

وقبل أن نتخذ رأياً في الحديث نشير إلى أن عائشة - أم المؤمنين رضى الله عنها - قالت حين سمعت رواية أبي هريرة : لم يحفظ أبو هريرة الحديث ، إنما قال رسول الله ﷺ لأن يمتلىء جوف أحدكم قبيحا ودما ، خير له من أن يمتلىء شعرا مهجيت به ، (٣) .

وهذا التصحيح من أم المؤمنين ينبغي الحق ، فلا ريب أن السنة النبوية تشرح القرآن وتوضحه ، فلو أخذنا برواية أبي هريرة لكان الحديث مخالفاً للقرآن ولأقوال وأفعال أخرى للرسول المصطفى ، أما رواية عائشة رضى الله عنها فتحدد الشعر المذموم - هجاء الرسول - وهو ما يوافق آى القرآن وما يؤكد الحديث رقم (٦) الذى يلعب من

---

(١) فيض القدير ، ج ٥ ص ٢٥٩ - للشرح .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب ما كره من الشعر ص ٤٢ .

(٣) نحو أدب إسلامى معاصر ص ١١١ .

هجا رسول الله ، وهو كذلك لا يتعارض مع رأى النبي وموقفه - <sup>عليه السلام</sup> من الشعر والشعراء عامة ، وبالطبع ينسحب ما قلناه على بقية الروايات الأخرى لنفس الحديث ، وكذا فإن الحديث رقم (٥) يثبت صحة هذا التفسير ، فالتعديتان المنهى عنهما تخوضان في أعراض المسلمين وتوجدان السكفر وتهاجمان الدين الحنيف ، ودليل ذلك أن أشاراً كثيرة لامية بن أبي الصلت كانت تعجب الرسول عليه السلام ، وأن أشعار الأعشى - غير ما ذكر - كانت تلشد بلا غصاصة .

بقيت مواقف الرسول - عليه السلام - بمن هجوه ، حين أهدر دمهم وقتل من بقى على كفره حين ظفربه ، ولا شك أن ذلك يتفق وينسجم مع الحديث رقم (٦) ومع رواية أم المؤمنين للحديث الأول ومع القرآن (وسيعلم الذين ظلموا أى متقاب يتقابلون) (١) ودليل ذلك أن من تاب منهم عفى عنه الرسول وأكرمه ، مثل كعب ابن زهير وغيره .  
بقي ما ورد في شرح الحديث الأول عند المناوى من حديث سعد وأبي سعيد عن قول المصطفى حين عرض شاعر ينشد : دخذوا أو امسكوا الشيطان ، لم يوضح الراوى نوع ما كان ينشده من شعر ، فلهذا كان هجاء مرذولاً يكفر صاحبه ، ولهله فحش من القول يستحق قائله الرجم ، وربما كان هياماً فى أودية الضلال يجب أن يحارب ، وما كان رسول الله ليقول عنه د الشيطان ، إلا لسبب مما ذكر .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٧

- ٢ — الموقف الموضوعى المحايد : يحسن ما كانت حسنا موافقا لمبادئ الدين وقيمه ، ويحارب ما كان سيئا منافيا للدين وتمامه .
- ١ — عن عائشة — رضى الله عنها — الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنه كحسن الكلام وقيده كقيده الكلام ، (١) .
- ٢ — ورواية أخرى لنفس الحديث : إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه ، (٢)
- ٣ — وتقول أم المؤمنين فى رواية أخرى : الشعر فيه كلام حسن وقيبيح ، نخذ الحسن وازك القبيح ، (٣) .
- ٤ — ولهذا الحديث رواية رابعة أنه عليه السلام قال : إنما الشعر كلام ومن الكلام خبيث وطيب ، (٤) .
- ٥ — لا تدع العرب الشعر حق تدع الإبل الحنين (٥)
- ٦ — عن ابن عباس : آمن شعر أمية بن أبى الصلت ، وكفر قلبه ، (٦) .

(١) فيض القدير : ج ٤ ص ١٧٥ ، حديث رقم ٤٩٣٩

(٢ ، ٣) دراسات فى أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤٠

(٤) نحو أدب إسلامى معاصر ص ١١٨

(٥) فيض القدير : ج ١ ص ٥٧ رقم ١٩

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ٥٢٤ حديث رقم ١٠٦٧

٧ - عن أبي هريرة د أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة ليبد :  
ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، (١) .

٨ - عن النبي ﷺ د ما وُصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه  
إلا عنتره ،

٩ - امرؤ القيس صاحب د لواء الشعراء إلى النار ، عن أبي هريرة  
وعنه أيضا د امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار لأنه أول من أحكم  
قوائمه ، (٢)

١٠ - قال يزيد بن مسلم الخزاعي عن أبيه ، عن جده ، قال  
دخلت على النبي ﷺ - ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المطلق :

لا تأمنن ، وإن أمسيت في حرم

إن المنايا تحمى كل إنسان

والخير والشر مقرونان في قرن

بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبي ﷺ ولو أدرك هذا الإسلام لأسلم ، (٣)

١١ - حين سمع الرسول عليه السلام قول طرفة بن العبد :

منبتدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال عليه السلام : وهذا من كلام النبوة ، (٤)

(١) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٨ (٢) فيض القدير

ج ٢ ص ١٨٦ (٣ ، ٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٩٨ / ١٠١

(١٢) حين أنى الطفيل بن عمرو السدوسي إلى الرسول ﷺ وأنشده  
أبياته :

ولا - وإله الناس - نألم حريم  
ولو حاربنا من هب وبو فهم  
أسلمّا على خسف ولست بخالد  
وما لي من واق ، إذا جاءني حتمي  
فلا سلم حق تحفز للناس خيفة  
ويصبح طير كائنات على لحم  
فأعرض عنه الرسول الكريم ، لما في شعره من روح جاهلية تعجد  
المدون وتسعى للانتقام وتشفي بالأذى ، ثم وجهه للسبيل الإهدى فقرأ  
عليه سورة الإخلاص والمودتين .

(١٣) وعن عبد الله بن رواحة أن النبي الكريم سأله : أخبرني .  
ما الشعر يا عبد الله ؟

فقال : « شيء يختلج في صدري فينطلق به لساني »  
قال « فأنشدني » : فأنشده قصيدته التي يقول فيها :  
قبلت - لله - ما آتاك موث حسن  
فموت عيسى - بإذن الله - والقدر



فقال النبي « وإياك قبلت لله ، وإياك قبلت لله » (١)

لا ريب أن بعض الحيرة ستتمسكنا حين نقرأ هذه الأحاديث فنجد الرسول يرفع بعض الشعراء إلى مصاف النبوة ، ويحكم على البعض بنار جهنم ، لكننا لو تريننا في تفهمها ، واستمعنا بالشروح وفسرنا بعضها ببعض لوصلنا إلى لب الحقيقة .

إن الأحاديث الأربعة الأولى واضحة المعنى : الشعر كأي كلام آخر ، منه الطيب الذي يقبله الرسول ويحسنا على قبوله ، ومنه الخبيث الرديء الذي يدينه - صلوات الله وسلامه عليه - ويحذرنا منه .

والحديث الخامس يرى في الشعر فن العرب الأول ، الذي أجادوه ، وتعلقوا به تعلقاً شديداً ، فصار جزءاً من طبيعتهم لا يفارقهم ولا يتركوه ما عاشوا ، وهو قول صادق صحيح ، وفي شرح الحديث رقم (٦) قال الزخشي عن أمية : كان داهية من دواهي ثقيف ، وثقيف دهاة العرب ، ومن دهائه ما هم به من ادعاء النبوة ، وكان جلالة المعلوم جوالاً في البلاد ( وكفر قلبه ) أي اعتقد ما ينافي شعره المشحون بالإيمان والحكمة والتذكير بآلاء الله وأيامه ، فلم ينفعه ما تلفظ به مع جحود قلبه ، روى مسلم عن عمرو بن الشريد قال « ردفت النبي ﷺ فقال : هل معك من شعر أمية ؟ قلت نعم ، فأشده مائة بيت فقال : لقد كاد أن يسلم في شعره . »

أما شرح الحديث رقم (٧) فهو ، وفي رواية « أصدق كلمة قالها شاعر »

(١) فيض التقدیر ج ١ ص ٥٧

وفي أخرى «أصدق بيت قاله للشاعر» ، وفي أخرى «أصدق يدته  
قالته الشعراء» ، وفي أخرى «أصدق كلمة قالتها العرب» ، وهذا قريب  
من قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ . . .

وروى السانفي في مشيخته البغدادية عن يعلى بن جراد قال «أنشد  
ليبي النبي ﷺ قوله : «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» ، فقال «صدقت» ،  
فقال : «كل نعم لا محالة زائل» ، فقال «كذبت» ، فنعيم الآخرة  
لا يزول» (١) أما الحديث رقم (٨) ورقم (٩) فيفسران بعضهما ، لقد  
كان عنتره مجسداً للقيم النبيلة : الشهامة والروعة والإباء والشجاعة ، وكان  
شعره صورة صادقة لحياته وسلوكه ، فهو يقول ما يفعل ، لا يكذب  
ولا يتقول ، وهو لا يقول هجاء مقذفاً ولا غزلاً فاضحاً أو أى  
كلام يؤذى .

وكان امرؤ القيس على التقيض من ذلك : فاحش القول ، إباحي  
الغزل ، سيء السلوك ، كاذب مدعي .

فلا غرابة أن يحكم النبي ﷺ على امرئ القيس بقيادة الشعراء من أمثاله  
إلى النار ، ويتمنى ﷺ لو كان قد رأى عنتره .

أما بقية المواقف من لقاءات الرسول بالشعراء واعتيابه على أشعارهم  
بما يفيد الإعجاب والتقدير ، فهي تندجم مع خلاصة الأحاديث السابقة :  
استحسان ما يتفق مع الدين والخلق القويم ، واستهجان ما يخالفهما .

---

(١) فيض التقدير ج ١ ص ٥٢٤

### الموقف الثالث : ترحيب وإثابة : أقوال وأفعال .

١ — عن كعب بن مالك — رضى الله عنه — قال رسول الله ﷺ :  
 « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه <sup>(١)</sup> وفي شرح الحديث قال « أراد بالجهاد  
 باللسان هجو الكفر وأهله ، وهذا إلى ظاهر الأخبار أقرب ، ومقصود  
 الحديث أن المؤمن شأنه ذلك فلا ينبغي أن يقتصر على جهاد أعدائه  
 باللسان ، بل يضم إليه جهاد اللسان ، عن كعب بن مالك قال : لما نزلت  
 ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ أتيت رسول الله ﷺ فقلت : ما ترى في الشعراء ؟  
 قال : إن المؤمن يجاهد . . . الحديث .

٢ — وقال صلوات الله عليه — لكعب بن مالك « إن المؤمن يجاهد  
 بسيفه ولسانه ، والذي نفسى بيده ، لكان ما ترمونهم به نضح النبل » <sup>(٢)</sup>  
 ٣ — عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت  
 الأنصارى يستشهد أبا هريرة فيقول : يا أبا هريرة نشدتك بالله ، هل  
 سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا حسان أحب عن رسول الله ، اللهم أيده  
 بروح القدس ؟ قال أبو هريرة : نعم ، <sup>(٣)</sup>

(٤) وعن البراء — رضى الله عنه — أن النبي ﷺ قال لحسان « هاجمهم  
 — أي قال هاجمهم — وجبريل معك » <sup>(٤)</sup> .

(١) فيض القدير : ج ٢ ص ٣٨٦ حديث رقم ٢١٠٤

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٠

(٣) صحيح البخارى ج ٨ ص ٤٥

(٤) السابق ج ٨ ص ٤٥

(٥) عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قال رسول الله ﷺ :  
« هجاء حسان ، فشئى واشتئى » (١) .

(٦) وفي رواية أخرى : قال صلوات الله وسلامه عليه : « أمرت  
عبد الله بن رواحة بهجاء قریش فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك  
فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشئى واشتئى » (٢) .

(٧) بعد هجرة الرسول الكريم للمدينة المنورة ، اشتد هجاء  
الشعراء المشركين - عبد الله الزبيري وضرار بن الخطاب وأبي سفيان  
بن الحارث بن عبد المطاب وعمرو بن العاص - اشتد هجاءهم للرسول  
والمسلمين ، فقال عليه السلام للأَنْصار : « ما يمنع القوم الذين ينصروا  
رسول الله ﷺ أن ينصروه بألسنتهم ؟ » فقال حسان : « أنا هنا  
يا رسول الله ، قل الرسول الكريم : كيف تمجدهم وأنا منهم ؟ » .

فقال : « والله لأسألك منهم كما تسأل الشعرة من العجين . فيقول له  
الرسول : اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ،  
ثم ارجعهم وجبريل معك » (٣) .

(٨) وجاء في العقد الفريد : « ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه

(١) فيض القدير ج ٦ ص ٣٥٢ حديث رقم ٩٥٨٤

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٩

(٣) راجع كتاب الخطبة : د . درويش الجندى ص ٦٤

أعظم جند يحنّده رسول الله ﷺ - على المشركين ، يدل على ذلك قوله لحسان دشن الخطاريك على بني عبد مناف ، فوالله لشرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام وتخييط عيشي فيه (٥) .

وقال والذي بعثك بالحق نبيا لاسلك منهم سل الشعرة من المعجين ، ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه ، وقال والله يا رسول الله انه ليخيل إليّ أني لو وضعت على حجر لفاقه أو على شعر لفاقه ، فقال النبي ﷺ : أيد الله حسان في هجوه روح القدس ، (١) .

(٩) وقال ﷺ معقبا على هجاء حسان ولهذا أشد عليهم من وقع النبل ، (٢) .

(١٠) حين أنشد حسان قصيدته التي يردّها بها على أبي سفيان بن الحارث أمام الرسول - ﷺ دعا له بالجنة مرتين ، فعندما قال :

هجوت محمدًا فأجبتُ عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

قال صلوات الله وسلامه عليه « جزاؤك عند الله الجنة يا حسان » . ولما وصل إلى قوله :

(٥) أظن المنصور : وتخييطوا عيشون فيه ، أي بني عبد مناف .

(١) العقد الفريد ص ١٣٠ ج ٣

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٠

فابت أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وفاء

قال النبي الكريم: «وفاك الله حر النار».

(١١) عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - دروا أولادكم  
الشعر تعذب ألسنتهم، (١).

أما مواقف الرسول الكريم من إنشاد الشعر ومن الشعراء فهي  
عديدة يصعب حصرها، ولكننا نستعرض أمثلة منها لاستكمال الصورة .  
(١) يقول جابر بن سمرة د جالست النبي ﷺ أكثر من مائة  
مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر  
الجاهلية وهو ما كنت فرعا تبسم معهم، (٢).

(٢) ورد في تفسير القرطبي أن الحليل بن أحمد قال: «كان الشعر  
أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام»، (٣).

(٣) سمع رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة وهي تنشد لزهير بن  
حباب قوله:

ارفع ضميمك لا يحل بك ضعفه

يوماً، فتدركه عواقب ما جفى.

---

(١) المقدم الفريد ج ٣ ص ٩٩/١٠٠

(٢، ٣) نحو أدب إسلامي ص ١١٨

يجزيك أو يثني عليك فإن من

أثني عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي - صدقة يا عائشة ، لا شكر الله من لا يشكر الناس ، (١)

٤ - عن الأصمعي أن رجلا جاء إلى النبي الكريم فقال : (٢)

أنشدك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأشدد :

تركت القيان وعزف القيان

وأدمنت نصليته وابتهاالا

وسكر المشقر في حومة

ونثق على المشركين القتالا

أيا رب لا أغيبن صدقة

فقد بعث مالي وأهلي بدالا

فقال النبي - صلوات الله وسلامه عليه : « ربح البيوع ، ربح البيوع » .

٥ - وجاء في العقد الفريد أيضا أن النبي ﷺ قال لسكعب

ابن مالك « لقد شكر الله لك قولك » : (٣)

زعمت سخيئة أن تغالب ربهما

ولينغلبن مغالب الغلاب

---

(١ ، ٢) - العقد الفريد : ج ٣ ، ص ١٠٠

(٣) العقد الفريد : ج ٣ ، ص ١٠١

٦ - موقف الرسول الكريم من الشاعر كعب بن زهير : كنا قد  
أشرفنا في موقف الكراهة إلى اهدار النبي ﷺ لدم كعب بن زهير بعد  
ما قاله من شعر يمرض فيه بالإسلام ورسوله ، ومنه هذه الأبيات (١) :

ألا أبلغنا عني بجيراً رسالة

فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك

شربت مع المأمون كأساً روية

فأنهلك المأمون منها وعليك

وخالفت أسباب الهدى وتبعته

على أي شيء - ويب غيرك - ذلك

على خلق لم تلف أمماً ولا أبا

عليه ، ولم تدرك عليه أخاً لك

وخاف بغير على أخيه فكتب إليه يحذره لأن الرسول يبيع دم من  
يهجوه حرصاً على الدين وحماية لأعراض المسلمين .

وأنه لم يبق من آذوه سوى هبيرة بن وهب وابن الزبير اللذين  
هربا منه فإن كانت لك في نفسك حاجة فأقدم عليه ، فإنه لا يقتل أحداً

(١) العصر الإسلامي : د . شوقي ضيف ص ٨٤ ويتصدر بالفظ

المأمون رسول الله ﷺ ، أو أبا بكر رضي الله عنه .



أنا تائباً ، وإن أنت لم تفعل فأنج بنفسك ، فلما ورد على كعب كتاب  
أخيه خاف على نفسه فأعد تصيدته الشهيرة « بانت سعاد » وقدم إلى مكة  
فذهب لأبي بكر الذي صاحبه لمسجد الرسول — وهو متلثم بعمامة —  
وقال : يا رسول الله هذا رجل جاء يبائعك على الإسلام ، فبسط النبي  
يده الشريفة ، وكشف كعب عن وجهه وقال : هذا مقام العائذ بك  
يا رسول الله ، وأنا كعب بن زهير ، فأمنه الرسول واستنشدته لاميته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها ، لم يفد مكبول

وبعد النزول ووصف الرحلة والنافذة يشير إلى خوفه :

يسعى الوشاة جنايبها وقولهم

إنك يا ابن أبي سلمى ، لمقتول

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم

فشكل ما قدّر الرحمن مفعول

ويلتقل إلى الاعتذار وطلب العفو من رسول الله :

أنبتت أنت رسول الله أوعدي

والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافذة

الفرقان ، فيها مواهظ وتفصيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة فلم  
أذنب ، وإن كثرت فى الأقاويل  
ويثنى بمدح الرسول والمهاجرين :  
إن الرسول لنور يستضاء به  
مهند من سيوف الله مسلول  
فى عصبة من قریش قال قائلهم  
بيطن مكة لما أسلموا ، زولوا  
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف  
عند اللقاء ولا ميل معازيل  
شم المرانيف أبطال ، لبوسهم  
من نسج داود فى الهيجا سراويل

د قال كعب بن زهير : فلما ختمت القصيدة رعى على رسول الله —  
ﷺ — بردة كانت عليه . فلما كان زمان معاوية — رضى الله عنه —  
بعث إلى كعب بن زهير : د بمننا بردة رسول الله ﷺ بمشرة آلاف ، فوجه  
إليه الجواب د ما كنت لأوتر بثوب رسول الله ﷺ أحدا . فلما مات  
كعب بعث معاوية إلى أولاده بمشرين ألفاً ، وأخذ منهم البردة (١) .

---

(١) شرح التبريزى على بابت سعاد : د . عبد الرحيم الجليل ص ١

وقبل أن ننتقل لموقف آخر ، نشير إلى قصة تتصل بزهر وقصيدته  
وترويها معظم الكتّاب ، تقول القصة إن كعباً عرض بالأنصار في البيت  
التالى :

يشون مشى الجمال الزهر يعصمهم

ضرب إذا ورد السود التنايل

وأن الرسول — عليه السلام — قال له « لولا ذكرت الأنصار  
بخير فإنهم لذلك أهل » ، وقال المهاجرون « ما مدحتنا إذ هجوتهم » فقال  
كعب أبيتنا يمدح فيها الأنصار :

من سره كرم الحياة فلا يزل

في مقنب من صالحى الأنصار

ورثوا للكارم كابراً عن كابر

إن الخيار هم بنو الأخيار

وأرى القصة ملفقة لا يقبلها المنطق للأسباب التالية :

(١) قيل إن تعريضه بالأنصار يرجع إلى تهمهم له ومحاولة قتله  
لما بدر منه في حق الرسول ، والفروض أن هذا قد حدث حين قابل  
رسول الله ، طي حين أن القصيدة ممددة ومنظومة مسبقة « فقال قصيدته  
التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

وفيها يقول :

نبئت أن رسول الله أوعدني

والعمو عند رسول الله مأمول

ثم أتى رسول الله . . . (١) أى أنه نظم القصيدة قبل اللقاء وهو أمر طبيعى ، فلا يعقل أن يرسل قصيدة من سبعة وخمسين بيتا فى لحظة اللقاء ، فكيف عرف مقدما أن الأنصار سوف يتجهونه ويرغب أحدهم فى قتله ، فهجوم ؟

(٢) ليس فى البيت أية إشارة إلى الأنصار حتى يعتد موجها إليهم فضلا عن أن يكون ترميضا بهم .

لقد بدأ مدح المهاجرين بقوله :

فى عصبة من قریش ...

شم العرائن ...

لا يفرحون إذا نالت ...

يمشون مشى الجمال ...

لا يقع الطمن إلا فى نحورهم ..

إنها سبعة أبيات تضى على نسق واحد ، والضمير فيها للأنابيين ( رهم ) يعود على المهاجرين (٢)

(١) الشعر والشعراء : ابن قتيبة ص ٧٠

(٢) راجع القصيدة فى ديوان كعب بن زهير أو شرح التبريزى .

٣ - في شرح الخطيب التبريزي للقصيد لايشير إلى مسألة التعريض  
قط ، وهو يحكي مناسبة القصيدة في رواية عن كعب نفسه بطريق أبي بكر  
الأنباري عن الحجاج ذي الرقية بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب (١)  
فهو ثقة .

٤ - معنى البيت يقول : إن المهاجرين يشنون إلى الحرب في ثقة  
وثبات وتؤدة - مثل الجمال - وأن هجومهم على الأعداء وضربهم إياهم  
يجمعهم في منمة وعصمة ، في الوقت الذي يفر ويحزن كل أسود قصير .  
وصفة السواد والقصر هنا تنصرف للأعداء - ربما الكفار -  
الذين يفرّون .

٥ - أما قول المهاجرين « لم تمدحنا إذ هجوتهم ، فقد يكوثر  
تحريفنا بسبب النسيان أو لفرض في النفس ، وربما كان القول لم تمدحنا إذ  
نسيتهم أو تجاهلتهم ، لأنه لم يذكر الانصار . وأما قول الرسول الكريم  
« لولا ذكرت الانصار .. » فهو توجيه نبوي ، لقد آخى الرسول - عليه  
صلوات ربه وسلامه - بين المهاجرين والانصار في كل شيء . فأحب  
ألا يختص الشاعر فريقا بالمدح دون الآخر ، فيجرح مشاعره ، لذلك  
يلفتة إلى استرضائهم كما استرضى إخوانهم المهاجرين .

ونعود لمواقف الرسول من الشعراء :

مع الناطقة الجمعدى : قدم الناطقة الجمعدى - أبو ليلى - على رسول الله

ﷺ فأنشده :

(١) شرح التبريزي ص ١٥

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى

ويتلو كتابا كالحجزة نيرا

فلمّا وصل إلى قوله مفاخرا :

بلغنا السماء : مجدنا وجدودنا

وإنا لئرجو فوق ذلك مظهرا

فسأله النبي : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ »

قال : إلى الجنة - بك يا رسول الله .

فقال النبي : « الجنة إن شاء الله »

وأكمل إنشاده ، فحين بلغ قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له

بواد تجمي صفوه أن يكدرها

ولا خير في جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها

فقال رسول الله - ﷺ - « صدقت ، لا يفيض الله فاك » فماش

مائة وثلاثين سنة لم تنقص له سن (١) .

(٨) موقف الرسول الكريم من أبي جرول الجشمي : وينقل صاحب

(١) الشعر والشعراء : ص ١٧٧ والعقد الفريد ج ٣ ص ١٠٠

المقد عن ابن هشام : حدثني أبو جرول الجشعي وكان رئيس قومه ،  
قال : أسركنا النبي ﷺ يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ  
وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امن علينا رسول الله في حرم

فإنك المرء ترجوه وثلثظور

امن على نسوة قد كنت ترضعها

يا أرجح الناس حلما حين يختبر

إنا للشكر لنعما إذا كفرت

وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه ، فقال عليه السلام : أما  
ما كان لي وأبني عبدالمطلب فهو لله ولكم ، فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو  
لله ولرسوله ، فردت الأنصار ما كان في أيديها من الدراري والأموال .  
ويعقب ابن عبد ربه — مؤلف المقد — بقوله : « فإذا كان هذا مقام  
للشعر عند النبي ﷺ فأى وسيلة تبلغه أو تفسره ؟ » (١) .

(٩) موققه — ﷺ — من عمرو الخزاعي :

روى أن عمرو بن سالم الخزاعي قدم على الرسول مستنصراً ، وكانت  
خزاعة في حلفه ، فاعتدت عليها قریش — فقال :

(١) المقد المفريد ص ١٠٢

يا رب إني ناشد محمدا  
 حلف أبيه وأبينا الأتلا  
 قد كنت والدا وكنا ولدا  
 تمت أسلمنا فلم نزع يدا  
 فانصر هداك الله نصرأ أعتدا  
 وادع عباد الله يأتوا مددا  
 فيهم رسول الله قد تجردا  
 إن سيم خسفا وجهه تربدا  
 إن قريشا أخلفوك الموعدا  
 ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
 وزعموا أن لست أدعو أحدا  
 وهم أذل وأفل عددا  
 هم بيتونا بالوتير هجدا  
 وقتلونا ركبا وسجدا

فما إن سمع الرسول هذا الشعر حتى دمت عيناه وقال « نصرت  
 ياعمرو بن سالم » (١) . ويكمل صاحب المقداد عن ابن هشام دسم عرض

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : د . صلاح الهادي ص ٢٢٥



عارض من السماء فقال رسول الله ﷺ : إن هذه السحابة تستهل بنفسه  
في كعب ، وتلك الحادثة كانت أحد الأسباب المباشرة لفتح مكة (١) .

(١٠) مع العلاء بن الحصين : جاء العلاء يوما إلى الرسول صلات الله  
عليه ، فسأله : هل تروى من الشعر شيئا ؟

فأنشده : حتى ذوى الاضنان تسب قلوبهم

تحيتك الحسنى فقد ترفع الشغل

فإن حسوا بالكره فاعف تكرا

وإن حبسوا عنك الحديث فلا تسأل

فإن الذى يؤذك منه سماعه

وان الذى قالوا ورايك لم يقل

فلما سمع هذا الشعر قال قولته المشهورة : إن من الشعر لحكمة ، (٢) .

(١١) موقفه من قيس بن الحطيم : ويروى أبو الهرج خبرا عن

أنس بن مالك يقول فيه أن رسول الله جلس في مجلس ليس فيه إلا خزرجى  
واحد ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الحطيم ، يعنى قوله :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب

لعمرة وحشا غير موقف راكب

---

(١) العقد المريد ص ١٠٢

(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٢

فأنشد به بعضهم إياها ، فلما بلغ قوله :

أجاد لهم يوم الحديقة جاسرا

كأن يدي بالسيف محراق لأعب

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ وقال : هل كان كما ذكر ؟ ، فشهد له

ثابت بن قيس بن شماس ، وقال : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج الينا يوم سابع عرسه . . . فجاءنا كما ذكر ، (١)

٢ — موقفه ﷺ من وفد بني تميم : في عام الوفود — بعد فتح

مكة — قدم وفد بني تميم على النبي ﷺ ومعهم خطيبهم عطار بن حاجب بن زارة وشاعرهم الزبرقان بن بدر ، فلما خرج إليهم النبي قالوا : يا محمد جئناك لنفاخر بك . . فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن لهم الرسول ولما انتهى خطيبهم أمر ثابت بن قيس الأنصاري فرد عليه ، ثم أذن لشاعرهم الذي قال في قصيدته :

نحن للكرام فلاحى يعادلنا

منا الملوك وفيينا يقسم الربيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم

عند النهاب وفضل العز يتبع

إنا أبينا ، ولم يأت لنا أحد

وأنا كذلك عند الفخر ترتفع

(١) قضايا الشعر في النقد العربي : د . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٨٨

وحين بدأ شاعر بني تميم يمشد ، بعث رسول الله إلى حسان - ولم يكن بالجلوس - فحضر وسمع قول الزبرقان فلما قال رسول الله دقم يا حسان فأجاب الرجل فيها قال : « ونف فار تجل على نفس الوزن والروى :

إن الدوائب من فهر وإخوتهم

ق-د بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريره

تقوى الإله ، بالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعا

إن كان في الناس سباقون بدمهم

فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

واستمر إلى نهاية القصيدة ، ولما فرغ حسان قال رئيس الوفد - الأفرع بن حابس - : وأبي ، إن هذا الرجل - يعني رسول الله - لمؤتي له بخطيبه أخطب من خطيبنا ، وأشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ، ولم ينفض المجلس إلا بدخولهم في الإسلام وتبديدهم الرسول ﷺ ، (١)

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ١٦٠/١٦٤

(١٣) دحين دخل مكة معتمراً ( عمرة القضاء ٥٧ ) قدم بين يديه عبد الله بن رواحة ، فأخذ بخطام نافته مرتجذاً بأبيات منها ، (١) :

خلوا بني الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير مع رسوله

يا رب إني مؤمن بقبيلة

أعرف حق الله في قبوله

خلاصة موقف السنة النبوية : لو تأملنا الأحاديث السابقة بانجهاها للثلاثة . واستقرأنا مواقف الرسول — صلوات ربه عليه — فسوف نخرج بمدة نتائج ، توضح وتدعم ما عرفناه قبلاً حين تأملنا آيات الله البيّنات حول الشعر :

(١) موقف السنة يتسق مع موقف القرآن الكريم ، فهي تسكره من الشعر ما تضمن هجاء الرسول وحرباً على الإسلام ونيلاً من المسلمين ، وتكره من الشعراء من حاد عن طريق الحق وخالف مبادئ الإسلام . وتنكر للخلق القويم .

(٢) أحاديث النهي والكراهة لا تخرج عن ثلاثة : أولها بعدة روايات ومنها رواية أم المؤمنين عائشة وهي تنهى عن كراهة الشعر الذي هجا الرسول ﷺ .

وثانيها : يلعب من تطاول على الرسول وهجاه .

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٥

وثالثها : ينهى عن رواية قصيدتين تحويان تمجيذا للسكران ،  
ووعيدا للمسلمين ، وهجومًا على الإسلام .

(٣) مواقف الرسول — عليه السلام — المناهضة للشعر أو المهاجمة  
للشعراء ، لا تخرج عن التصدىق أن حارب الله ورسوله والمؤمنين .

(٤) أدرك الرسول بفطرته السليمة ، وحكمته البالغة ، اعتزاز العرب  
بالشعر ، وابداعهم فيه وتمسكهم به ، حتى ليوشك أن يكون غريزة  
فيهم — كحذنين الإبل — والرسول عربي ، يتذوق الشعر ويدرك تأثيره  
في النفوس ، فليس من المقبول منطقيًا أن يقال إنه — صلوات الله عليه —  
قد حارب به وأنهى عنه وجودنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه الرسول  
ﷺ — واستحسنه ، وأمر به شعراء ،<sup>(١)</sup> ولكن المتوقع أن يقوم  
هذا الفن ويهذبه .

(٥) التف حول الرسول الكريم جماعة كبيرة من الشعراء المؤمنين  
بعضهم كانت له صحبة ورواية ، فهم من حفظة الحديث النبوي ورواته ،  
وبعضهم شرف بالصحبة وحدها . ومن الأولين ، الصحابة الأجلاء رواة  
الحديث (٢) حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ،  
وعدي بن حاتم الطائي ، وعباس بن مرداس السلمى ، وأبو سفيان  
بن الحارث بن عبد المطلب .. وغيرهم .

---

(١) البيان والتبيين ، ج ١ ص ١٥٣

(٢) راجع : دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤٣/٤٤

ومن لهم شرف الصحبة دون الرواية : أحمد بن زهير ، ولبيد بن ربيعة ، وضرار بن الخطاب ، وابن الزبير . . وغيرهم : فكيف يفسح الرسول في مجلسه للشعراء ويسمح بالرواية عنه ، إن كان يكره الشعر أو يعرض عن الشعراء ؟

(٦) من الأحاديث الواردة عن دعترة وامرئ القيس وأمية وطرفة ، ثم من المواقف العديدة للرسول المصطفى مع شعراء آخرين يتضح جليا أن الرسول لم يكن يرفض الشعر بعامه ، ويعرض عن الشعراء أجمعين ، فقد رأيناه يقبل علي ما حسن ، ووافق الحق من الأشعار ، ولم يتضمن ما ينافي روح الإسلام وتعاليمه وآدابه ، واشتمل على العظة والعبرة والتذكير والخص على الفضائل وغير ذلك مما يدخل تحت قوله — **الطريق** — : إن من الشعر لحكمة (١) .

(٧) وما دام للشعر تأثيره وقوته ، فلا ريب أن الحكمة النبوية رأت اتخاذها سلاحا للدفاع عن الدين ومناهضة الشرك ، خاصة وقد بدأ الشعراء السكفار بإطلاق سهام السنتهم واختار الرسول حسان بن ثابت وكتب بن مالك وعبد الله بن رواحة من الأنصار ليردوا على شعراء قريش ، فكان اختياره موفقا لسببين :

الأول أن شعراء المدينة أقدر على قول الشعر من شعراء مكة ، والثاني أن شعر الأنصار يعد عهدا ومواريق منهم للرسول (٢) .

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٧

(٢) تاريخ الشعر العربي : د . عبد العزيز السكفراوي ج ١ ص ٣١

(٨) ولم تقتصر نظرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الشعر على اعتباره فناً من الفنون يستحسن الحسنى منه، ويستبعد القبيح، بل كان عليه السلام يرغب فيه بالحث على روايته واستنشاده ، ويسمع لأصحابه في مجلسه ، ويبدى آراء نقدية صائبة فيما يسمع ، ويثيب على ما يمجبه ، ويورد من أخطاء، ولو رجحنا إلى موقفه مع النابغة الجعدي ، وليبيد ، وكعب بن زهير ، ومع الشدوسي ، ثم مع رواة شعر قيس بن الخطيم ، فسوف نجد أنه يرحب ويحب بكل شعر تضمن الدعوة إلى خلق كريم ، أو أصدر حكماً صائباً على فعل وسلوك ، أو أكن الرسول بحسه المرنف ، وحكمته السديدة ، كان يمرض عن ذلك الشعر الذي يشيد بقم جاهلية ، أو يخوض في الأعراض ، أو يوقظ كامن الفتن والاضغاث ، أو يتباهى بروح الخيلاء والفخر بالأحساب والأنساب .

ولو كان الرسول يكره الشعر ، أو لا يعرفه حق المعرفة ، ما كان ليعقد تلك المجالس الأدبية لروايته وإنشاده ، ويسمع لشعرائه بالرد على شعراء الوفود أو شعراء قرين .

وما كان يرى فيه سلاحاً مكملاً لاسلحة القتال ، وما كان ليبدى تلك الآراء الصائبة ، ويظهر ذلك الإعجاب الصادق ، ولا كان يستجيب لمن اتخذ الشعر وسيلة للاعتذار وطلب العفو ، بل الاعتداء من الأسر .

فالرسول إذن - مهتدياً بالقرآن - لا يرفض الشعر جملة ولا يندحى الشعراء جميعاً ، إنما يقبل ما وافق الحق والدين .





ثالثا : موقف الصحابة والراشدين

أظن أن موقف الإسلام من الشعر يزداد وضوحا واحتمالا حين نتعرف على آراء ومواثيق صحابة رسول الله - ﷺ - وخلفائه الراشدين ، فهم متبعون لسنة ، مسترشدون بهديه عليه السلام ، ورأى الجماعة من الصحابة والخلفاء وأوائل التابعين ، يعتبر مصدرا ثالثا للتشريع بعد القرآن والسنة .

يطالعنا في البداية قول أنس بن مالك - رضى الله عنه - « قدم علينا رسول الله ﷺ - وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر ، قيل له : وأنت أبا حمزة ؟ قال : وأنا ، (١) »

وجاء في البيان والتبيين : « وسامة أصحاب رسول الله ﷺ ، قد قالوا شعرا قليلا أو كثيرا ، سمعوا واستنشدوا » (٢) .

وسئل الحسن البصري : أكان أصحاب رسول الله ﷺ يمزحون ؟ قال نعم ، ويتقارضون القريض ، وهو الشعر ، (٣) .

وروى عن أبي سلمة قوله : « لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزقين ولا متهاوتين ؛ كانوا ينشدون الأشعار ، ويدكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحد منهم على شيء من دينه ، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون » (٤) .

الخليفة الأول : أبو بكر الصديق كان رضى الله عنه يستنشد الشعر

(١) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٠٣ (٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٣

(٣) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٩٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٩٠

ويتذوقه ، ويبدى فيه آراء صائبة ، ويستشهد به في خطبه . كذلك فقد خاض حروب الردة دفاعا عن الإسلام ، واستنابة للمرتدين حتى يفيثوا إلى أمر الله ، فكانت تلك الحروب ذات تأثير على نهضة الشعر الإسلامى حيث واكب اللسان معركة السنان ، وانطلقت سهام الكلمات تصيب المرتدين فى الصميم .

ومن آرائه التى تدل على دراية بالشعر قوله عن النابذة « هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا » (١)

وحدث أن جاءه مال من البحرين فقام بتوزيعه على المسلمين بالتساوى وغضب الأنصار لذلك ؛ فقد كانوا يتطلعون إلى أن يزيد عطاءهم ، لما لهم من سبابة فى مناصرة الرسول ومؤاخذة المهاجرين ، فغضب فيهم الصديق ، وذكر فضلهم وأثنى عليهم ، متمثلا بأبيات طفيل الغنوى التى يقول فيها : (٢)

جزى الله عنا جهرا حين أذلت  
بنا نعلنا فى الواطئين فزلت

- 
- (١) دراسات فى أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤١  
(٢) الأبيات من كتاب الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ١٨٢ ،  
وطيفيل شاعر جاهلى مات قبل الإسلام بقليل وكان حكيما ثريا فقام بالصالح بين قبيلته وقبائل أخرى متمملا للبيات .

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا  
 تلاقى الذى يلقون منا ، بلمت  
 هموا أسكنونا فى ظلال بيوتهم  
 ظلال بيوت أدفأت وأظلمت

وقال سقيد بن المسيب دكان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى  
 الشعر الثلاثة ، (١) وهو يقصد أن كل واحد منهم لا بد قد نظم بضعة  
 أبيات فى مناسبات مختلفة .

الخليفة الثانى : الفاروق عمر : أما الخليفة العادل فله مع  
 الشعر والشعراء مواقف عديدة مشهورة ، وله فيه وفيهم أقوال حكيمة  
 مأثورة ، كان يسأل وفود القبائل عن شعرائهم ، ويستنشدهم ، ويبغى  
 آراء فيما يسمع ، وكثيرا ما كتب لولائه على الأمصار يسألهم عن الشعراء  
 وما نظموه من جديد الشعر ، ويروى أنه ربما سهر الليالى يصغى إلى  
 الشعر حتى إذا سعان وقت الفجر طلب تلاوة القرآن .

آراؤه فى الشعراء : كان يفضل زهير بن أبى سلمى ، محملا تفضيله  
 بما يملك تذوقه للشعر ، وعلمه بمقوماته ، يقول ذكان لا يعاظم فى  
 الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحدا إلا بما

فيه . ، (١) وربما عكست الجملة الأخيرة حرصه على آداب الإسلام  
الذى يدعو إلى القول الصادق ، وينهى عن الفساق والمراءاة .  
وقال لوفد غطفان حين سمع قول النابغة الذبياني :  
حلفت فلم أترك لنفسك ربيعة

وليس وراء الله - للهوى - مذهب

قال : د هو أشهر شعرائكم ، (٢)

ولأن زهيراً اشتهر بمدح هوم بن سنان ، فقد طلب الماروق من  
أحد أولاد هوم ذات مرة : أنشدنى بعض ما قال فيكم زهير . فأشده .  
فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسنى ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كنا  
نعطيه فننجز ، فقال عمر - رضى الله عنه : ذهب ما أعطيتكموه وبقي  
ما أعطاكم ، (٣)

وقال رضى الله عنه لابن عباس يوماً : أنشدنى لشاعر الشعراء  
الذى لم يعاظم بين القوافى ، ولم يتبع وحشى الكلام .

قال : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، فلم يزل ينشده إلى  
أن برق الصبح » (٤)

---

(١) العصر الجاهلى : د . شوقي ضيف ص ٢٢٦

(٢) الشعر والشعراء ص ٧٣

(٣) المرجع السابق ص ٧٣

أقواله في الشعر : قال لابن له : يا بني : انشرب نفسك تعال  
رحمك ، واحفظ عمامن الشعر يحسن أدبك ، فإن من لا يعرف نسبه لم  
يصل رحمه ، ومن لم يحفظ عمامن الشعر لم يؤد حقاً ، ولم يعترف  
أدباً ، (١)

ومن أقواله : الشعر جذل من كلام العرب ، يسكن به الغيظ  
وتطفاً به الشائرة ، ويبلغ له القوم فادبهم ، ويعطى به السائل ، (٢) ،  
وجاء في البيان والنبين قوله : من خير صفات العرب : الآبيات  
يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها  
الليث ، (٣)

وقال أيضاً : روي من الشعر أصفته ، ومن الحديث أحسنه ومن  
النسب ما تواصلون عليه وتعرفون به ، فرب رحم بمجولة قد عرفت  
فوصات ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق ، ونسب من  
مساويها ، (٤)

وكتب إلى أبي موسى الأشعري — وإليه على البصرة — يقول :

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٨٨

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٢

(٣) البيان والنبين ج ٢ ص ٢٨٨

(٤) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٩

« من قِبَلِك بَشَرٌ ، فإنه يدل على معنى الأخلاق  
وصواب الرأي ومعرفة الأنساب » (١)

وروى الجاحظ ، قال « كتب عمر بن الخطاب إلى ساكني الأمصار:  
« أما بعد ، فداكم أولادكم الفروسية ، وروهم ما سار من المثل ،  
وحسن من الشعر » (٢)

مواقفه مع الشعراء : كان لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب مواقف  
كثيرة مع عدد من الشعراء ، وتلك المواقف لها وجهها ، قد يتسرع  
المغرضون فيأخذون بأحد الوجهين ، ويأثرون أهناك الكلمات كي يلمظوا  
علاء الخليفة المأول للشعر وللشعراء ، ويغمضون العين بإصرار وعمد  
عن الوجه الآخر للموقف لأنه يهدم رأيهم ، ومن ذلك موقفه مع  
الحطيئة بعد قصة ترويحها كتب الأدب القديمة والحديثة ، هجا الحطيئة  
وجلا فاضلا سيدا في قومه هو الزبير بن بدر بأبيات منها :

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا  
ذا حاجة ، عاش في مستوحر شاس  
جاراً لقوم أطلوا هون منزله  
وغادروه مقبلاً بين أرماس  
ملوا قراه وهرته كلابهم  
وجرحوه بأنياب وأضراس

(١) الأدب في عصر النجوة والراشدين ص ٢٨٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨

دع المسكرم ، لا ترحل لبغيتها  
واقعد ، فأنت الطاعم الكاسي

فشكاه إلى أمير المؤمنين الذي قال بعد أن سمع الأبيات : ما أعلمه  
هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا ؟ قال : إنه لا يكون في الهجاء  
أشد من هذا (١) .

وأرسل عمر ، إلى حسان بن ثابت يسأله ، فقال : لم يهجه ، ولكن  
صلح عليه ، لحبسه وقال : يا خبيث ، لا تشغلني عن أعراض المسلمين .  
فاستعطفه الحبيشة وهو في الحبس بأبيات يذكر فيها أولاده الصغار :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ  
ذغب الحواصل ، لا ماء ولا شجر  
القيت كسبهم في قعر مظلمة  
فأفقر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه  
ألقت إليه مقاليد النبی البشر

---

(١) المستوعر : مكان صعب غليظ ، الشأس : الارتفاع الغليظ  
اللون : من الهوان ، الأرماس : القبور ، هراته : نبعثته ونهشته ،  
(الشعر والشعراء ص ٣٠٢) .



لم يؤثروك بها ، إذ قدموك لها  
لكن لأنفسهم كانت بها الإثر

فدمعت عيننا الخليفة وأطافه آخذاً عليه عهداً بالكف عن الهجاء ،  
واشتري منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولما ذلك يشهد  
الحطية بقوله :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع  
شتماً يضر ولا مدحاً يرفع  
وحيتى عرض اللئيم فلم يخف  
ذمى وأصبح آمناً لا يفرع

ومهما يكن من شيء فلقد حرّك الحطية هذه المحاكمة العلمية  
العادلة ، ونال ذلك العقاب المستحق على هجائه للزبرقان ليسكون عبرة  
له ، ورادعاً له عن التعرض لأعراض الناس ، وأخذت عليه الموائيق  
ألا يعود ، وقطع عليه عمر معاذير الفقر بمنحه ثلاثة آلاف درهم ،  
لأن صححت رواية ذلك ، (١) .

موقفه مع النعمان بن عدي : كان النعمان والياً على ميسان  
في البصرة ، ونظم أبياتاً يقول فيها : (٢)

- 
- (١) الحطية : د . درويش الجندى ص ٩٣  
(٢) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٧

ألا هل أتى الحذف أن حليها  
 بميسان ، يسقى في زجاج وحفم<sup>(١)</sup>  
 إذا شئت غنتني دهاقين<sup>(٢)</sup> قرية  
 ورقاصة قهـزرو على كل منهم  
 فإن كنت ندماني فبالأبكر استقي  
 ولا تسقى بالاصفر المتشلم  
 لعل أمير المؤمنين يسوؤه  
 تنادى في الجوسق المنهدم

فلما بلغ ذلك الخليفة عمر قال : « إني والله إنني ليسوؤني ذلك »  
 ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته ، وكتب إليه بعزله ، فلما قدم عليه  
 قال : « والله يا أمير المؤمنين ، ما شربتها قط ، وما ذاك الشعر إلا  
 شيء طفع على إساني ، فقال عمر : أظن ذلك ، وليكن والله لا تفعل لي  
 عملاً أبداً وقد قلت ما قلت ، وواضح أن عقاب أمير المؤمنين كان  
 بسبب جهر النعمان بالمحرمات حتى ولو لم يرتكبها ، ثم تطاوله على  
 الخليفة بما يسوؤه ، وهو - النعمان - كان والياً ، أي قائداً وممثلاً لعامة  
 الأمة ، فلو ترك في منصبه بعد زلته لشجع غيره على الفعل بعد القول ،  
 وما كان عمر ليتراخى في الحق .

(١) الختم : الجرة الخضراء .

(٢) دهاقين : جمع دهقان وهو القوي صاحب السلطة والمال  
 والخبرة ، الجوسق : كل بنيان عال شامخ .

موقفه مع حسان بن ثابت : روى أن حسان وقف يشهد شعراً

في مسجد الرسول - ﷺ - أيام عمر ، فلما سمعه ، أخذ بأذنه وقال :  
أرغاه كرخاء البعير ١٩ فرد عليه حسان بقوله : دعنا عنك يا عمر ،  
فو الله لنعلم أنى كنت أشهد في هذا المسجد من هو خير منك ، فلا يغير  
علي ، فيقول له عمر : صدقت ، ... وتنتهى القصة بقول عمر للمسلمين  
من الانصار : لاني كنت نهيتكم أن تذكروا شيئاً مما كان بين المسلمين  
والمشركين دفماً للضغائن عنكم ، فأما إذا أبوا فأنشدوه واحفظوه ، (١)

موقفه مع لبيد : يعد لبيد بن ربيعة من كبار شعراء الجاهلية

وأدرك الإسلام ، فقدم على رسول الله في وفد من بني كلاب ، وقد  
حسن إسلامه وتخلّى عن كثير من الشعر الذي يأباه الدين ، ولذا قلّ  
شعره ، ويقال إن عمر بن الخطاب استنشد به بعض ما قاله في الإسلام ،  
فقرأ سورة البقرة وقال : ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله  
سورة البقرة وآل عمران ، فزاده عمر في عطائه خمسمائة درهم ، (٢)

وقد يظن أن الخليفة زاد عطائه لأنه ترك الشعر ، فكأنه يحض  
غيره على ذلك ، لكن الحقيقة أن عمر بن الخطاب قد زاد عطاء لبيد  
لتقواه وحفظه للقرآن وليس لتركه الشعر ولما لزاد في عطاء بقية  
المسلمين الذين لا ينظمون شعراً .

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥٠

تأثره بالشعر : «سئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر ابن الخطاب عماله ؟ فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وأن شاعراً كتب إليه يقول :

مخج إذا حجوا ونفرو إذا غروا  
فأنى لهم وفر ، ولسنا بنى وفر  
إذا التاجر الهندى جاء بفارة  
من المسك ، راحت فى مفارقة  
فدونك مال الله حيث وجدته  
سيرضون — إن شاطروهم — منك بالشر

قال : فشاطروهم عمر أمراهم ، (١) .

ويروى أن المنجل السعدى جزع جزعاً شديداً حين هاجر ابنه شيبان لحرب الفرس مع سعد بن أبي وقاص ، وكان قد أسنّ وضعف ، فافتقد ابنه ، فلم يملك الصبر عنه ، وذهب إلى عمر فأنشده [بيناك] يقول فيها :

إذا قال صحبى ياربىع ألا ترى  
أرى الشخص كالأشخصين وهو قريب

---

(١) العقد للفريد : ج ٣ ص ١٠٢

ويخبرني شيبان أن لن يغني

نعم إذا فارقتني وتحوب (١)

فرق له عمر، وكتب إلى سعد يأمره ببرد شيبان إلى أبيه ولم يزل عنده حتى مات . . . . وقد فزع إليه أيضا أمية بن حرثان بن الأسكر حين هاجر ابنه كلاب إلى حرب الفرس، وكان مما أنشده فيه :

لمن شيبان قد أنشدا كلابا

كتاب الله إن حفظ الكتابا ؟

إذا هتفت حمالة بطن وج

على هيئاتها ، ذكرها كلابا

تركك أباك مرعشة يداه

وأهلك ما تسيف لها سراها

فأمر بإشخاصه إليه . ومن فزع إلى عمر أيضا في ذلك أبو خراش الهذلي حين هاجر ابنه مع المجاهدين إلى الشام ، وقد أنشده شعرا مؤثرا ، فأمر بورده عليه وأن لا يغزو من له أب هرم إلا بعد أن يأذن له راضيا بهجرته (٢) وكل ذلك يدل على تقدير الخليفة العادل

(١) تحوب : تخطيء وتأثم

(٢) العصر الاسلامي : د . شوقي ضيف ، ٥٦ ، ٥٧

للشعر والشعراء وتأثره بالآبيات يرسلها الرجل بين يدي حاجته - كما  
عبر هو .

أما ما يثار من شبهات حول موقفه من الخطيئة ثم من الجيد  
وما يقال من أنه غضب على أبي موسى الأشعري ولومه لأنه كافأ الخطيئة  
لمدحه إياه ، وادعاء أنه أنقص خمسمائة درهم من عطاء الأغلب المعجل  
لقوله حين سئل عن شعره (١) :

لقد سألت هينا موجودا أروا تريد أم قصيدا ؟

فهو نوع من التعامل أو متابعة لأراء غير دقيقة وروايات ناقصة ،  
وقد عرفنا حقيقة موقفه مع الخطيئة ، ويكفي أنه أخرج من السجن بعد  
آبياته عن أولاده ، وأعطاه ما يغنيه عن السؤال بالمدح والاسترقاد  
بالهجاء ، كما فهمنا سر تصرفه مع الجيد الذي عرف عنه الكرم وإطعام  
الناس وقت الصبا ، وهي ريح شديدة البرودة ، تمنع الناس من السعي  
لجائشها . ولومه لأبي موسى إنما كان حرصا على مال المسلمين من أن  
يبدد طمعا في الثناء والمدح .

ولأنقص عطاء الأغلب لا يرجع قطعا إلى كتابة الشعر ، فلا بد أن  
بقية القصة تعطى تفسيراً للأمر ، والشعراء في عهد حمز - رضى الله عنه -  
كانوا كثيرين ولم نسمع عن أنقص عطاء أحد آخر غير الأغلب .

---

(١) تاريخ الشعر العربي ج ١ ص ٥٨

عثمان بن عفان : تتفاوت آراء المدارس في الخليفة الثالث تفاوتاً

كبيراً ، فبينما نجد الدكتور عبد العزيز السكفراوي يقول عنه بعد اتهام عمر بن الخطاب بـ كراهية الشعر : « ولم يكن عثمان وعلي من بعده أقل منه سخفاً » على الشعراء وكراهية للشعر ، فقد ذكر الشماخ أن خوفه من عثمان وتنكيله بأمثاله هو الذي كان يمهده من أن يمزق جلود أعدائه وذلك حيث يقول (١) الربيع بن عبيد الله السلمي :

لولا ابن عفان ، والمسلطان مرتقب

أوردت عثمان من الأبناء جلوداً

على حين يقول الدكتور درويش الجندى : « وما يكاد عهد عمر يفتقر بسياسة الحازمة الصارمة ، ويأتي عهد عثمان بسياسة اللينة اليسيرة حتى نرى الخطيئة يتنفس الصعداء ، (٢) ثم يحكي عن مدح الخطيئة الوليد بن عقبة - وإلى عثمان على الكوفة - وكان ضيفاً في دينه ، يشرب الخمر ، ويلهو مع أصحابه بالغناء حتى الصباح ويذهب للصلاة سكراناً ، فلما أقيم عليه حد الشراب ، دافع الخطيئة عنه ومدحه (٣) .

ولكن شواهد أخرى ، وكذا منطق الأمور ، تنفي عن أن الخليفة الثالث قد سار على نهج سابقيه ، فترك الشعراء ماداموا ملتزمين بتعاليم الإسلام ، وأعرض لهم حين تجموا على القيم ، واعتدوا

(١) تاريخ الشعر العربي : ص ٥٨

(٢) الخطيئة : ص ٩٧

(٣) نفس المرجع ص ٩٨

بأسننهم على الحرمات . وما قاله الشماخ يدل على أن عثمان بن عفان  
 - رضى الله عنه - قد اشتد على المهاجرين وحاربهم ، حفاظا على  
 القيم الأخلاقية وحماية للأعراس ، ويؤكد ذلك ما روى عن قصته مع  
 ضابي بن حارث البرجمي ، وهو شاعر من بني غالب بن حنظلة ،  
 وكان قد هجا قوما هجاء سوء ونجس ، فشكواه إلى الخليفة عثمان ،  
 الذى حبسه إلى أن مات (١)

على بن أبى طالب : أما الخليفة الرابع - ابن عم رسول الله والذى  
 شهد له سعيد بن المسيب أنه أشعر من أبى بكر وعمر - رضى الله  
 عنهما - فقد حفظت كتب السيرة وكتب الأدب شيئا غير يسير من  
 شعره ، فيقال إنه كان إذا هم بالمبارزة أنشد من نظمه : (٢)

أى يومى من المرات أفرش  
 يوم لا يُقدر ، أم يوم مُقدر ؟  
 يوم لا يُقدر لا أرهبه  
 ومن المقدور لا يفتى المنذر  
 وما قاله من شعره أيضا يوم صنين :

---

(١) الشعر والشعراء : ص ٢١٨

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٠



أمن راية سوداء يخفق ظمها  
إذا قيل قنتما حمين ، قنمدا  
فيوردها في الصف حتى يردها  
حياض المنيايا تقطر السم والدم  
جرى الله عنى والجراى بكفه  
ربمة خيرا ، ما أعف وأكرما

وكان المسلمون يعرفون في على شاعريته ، بدليل أنهم حين اشتد  
هجاء شعراء الشريك للنبي وصحبه ، ذهبوا إلى وقولالة : داهج عنا  
القوم الذين يهجوننا ، فقال : دإن علينا ليس عهد ما يرواد في ذلك ، (١)  
وهو لا يقصد بالطبع ضاف المقدرة الفنية وماهكة الشعر ، ولكنه  
تخرج من قول الهجاء - خاصة في قریش وهم قومه وقوم رسول الله -  
أو ربما كان لا يقول شعر الهجاء عامة ، فليس كل شاعر قادراً على  
جميع فنون الشعر .

وكان يفضل من الشعراء امرأ القيس ويقول وكان أحسنهم نادرة  
وأسبغتهم بادرة ، (٢) .  
وقد استعان بالشعراء في معاركه مع بني أمية لإثارة الحاس  
وتحريك الحميم .

ويروى أن أحزابيا شكوا إليه فقره فأمر غلامه - قنبر - أن يعطيه

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٠ ، ٤١

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٠ ، ٤١

حالة ، فمدحه بقوله : (١)

كسوتني حالة تبلى محاسنها  
فسوف أكسوك من حسن السفا حملا  
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه  
كالغيث يحيى يده السهل والجيدلا  
لا تزهد الدهر في عرف هدأت به  
فشكل عهد سيحزني بالذي فعدلا

فقال علي : ديا قنبر : اعطه خمسين ديناراً ، ثم قال له : أما الحلة فليس لك  
وأما الهدايا فلا أدبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنزلوا الفاس  
من أهلهم ، ووضح من هذه الفصة أن علياً كرم الله وجهه عرف للرجل  
قدره حين قال الشعر فبجده وأعطاه ما يليق بشاعريته . لكن ذلك  
لا يمنع أن يوجه من يحتاج للتوجه إلى التأديب بأداب القرآن  
الكريم ، فبروي أنه سمع جبر بن سمير التميمي ، يتمثل بقول  
الأسود بن يعفر النهشلي ، وهما يمرآن علي مدائن كسرى :

جرت الرياح على محل ديارهم

فكأنما كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة

في ظل ملك ثابت الأوتاد

فإذا النعم وكل ما يملأ به

يوماً ، يصير إلى بلى ونفاد

فقال علي : فلم لم تقل كما قال الله عز وجل ﴿ كم تركوا من جنات

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٨٩

وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴿١٩﴾ .

وبعد . . . إن ذلك العرض لمواقف الراشدين وأقوالهم فيما يخص الشعر والشعراء يلعبت أنهم ساروا على نهج الرسول الكريم وهدى من القرآن ، فلم يرفضوا الشعر تماماً ولم يقبلوه على علته ، ولا هم عادوا الشعراء جهيماً ، ولا توكروهم وأهواءهم المتقلبة ، إنما كان الموقف العادل ترحيباً بالطيب ونهيّاً عن الخبيث ، ثواباً للمحسن وعقاباً للمسيء ؛ كان حثاً على الخير والصلاح وزجراً عن الشرير والطالح ، وذلك ما يتفق مع آيات القرآن وأحاديث الرسول ومواقفه صلوات الله وسلامه عليه .

خلاصة موقف الإسلام من الشعر والشعراء : لا ريب أننا بعد هذا العرض المسهب لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم الخلفاء الراشدين ، نستطيع أن نقول مطمئنين : إن الإسلام لم يعارض الشعر ولم يذم الشعراء ، ولأنه ليس من المستعاض عقلاً ادعاء أن الرسول ﷺ كره الشعر وأعرض عن الشعراء ، فلا يمكن لهذه الدهوة العالمية ترسم منهاجاً جديداً للحياة الإنسانية كلها ، لا يمكن لهذه الدعوة أن تهبط الشعر من

---

(١) الآيات من سورة الدخان ٢٥ ، و ٢٦ . والمقصود من توجيه الخليفة ألا يأسى على ضياع ملك الفرس - وهم كافرون - لأن الله أورثه لمن هو خير منهم - للمسلمين - .

حسابها ، سواء كان عمالا للإبداع الفنى أو وسيلة للدعوة ، أو سلاحا للجهاد ، وقد مر بنا كيف حدث الرسول المهبط فى شعراء المساميين ، ودعاهم إلى جهاد القول وسهام الكلام وسيف اللسان ، وذلك بعد أن فجع شعراء مكة المشركين تلك الجبهة الجديدة لتواكب جبهة الرماح والسيوف .

أما ما ورد من تهديد القرآن لبعض الشعراء ونهى الرسول عن قلعة من الشعر أو ضيقه بقايل من الشعراء ، وما عرف - تاريخيا - من مطاردة الخلفاء وكعمر بن الخطاب ، أو عثمان بن عفان ، رضى الله عنهما للحطبة والنجاشى وضاريه ، فإنما كان لما تناولوه هؤلاء من أفكار ومعارى تنافى الخلق القويم ، كما تؤذى الفطرة السليمة ، وتناقض مبادئ الإسلام ، وبفضل هذا التوجيه القرآنى والنبوى تخلص الشعر العربى من شوائب الملقى والنفاق فى المديح السكاذب ، ومن أدران الهجاء القبيح ونيل الأعراض ، ومن الهيام فى أودية الزهو والخيلاء بالفخر المتعالى ، ومن خدش الحياء فى النزل الفاسد ، ومن أذى الخلق بوصف الخمر ولعب الميسر وجماعى اللهو والمجون ، إنه التوجيه للشعر وليس كبحه ، والقضاء عليه ، وهو التمهيد للشعراء لا خنقهم وتسكينهم .

ويمكن أن نوجز موقف الإسلام جملة من الشعراء والشعراء فى النقاط التالية :

(١) ليس فى القرآن الكريم تعريم قاطع صريح لنظام الشعر ،

وليس فيه تنديد به أو تحقيق له إلا حين يتنكب طريق الهدى ويحيد  
عن الخلق والدين .

(٢) كذلك لا يعادى القرآن الشعراء ولا يذممهم أو يهدمهم إلا إذا  
انحرفوا عن الحق وأساءوا للغير .

(٣) تركيز القرآن على نفي صفة الشاعرية عن الرسول وصفة للشعر  
عن القرآن هدفه تنزيه الرسول - ﷺ - عن أن يأتي بما لم يوحى إليه  
وينزل عليه ، يقول جلّ شأنه في سورة الحاقة ( ولو تقول علينا  
بعض الأقاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ) ويقول  
سبحانه في سورة الفجم ( إن هو إلا وحي يوحى ) وكذلك تنزيه القرآن  
عن أن يكون كلام بشر ، وإنما ( تنزيل من رب العالمين ) (١) .

(٤) تنفق السنة المطهرة مع القرآن الكريم ففى ترحب بالشعر  
وتفسح للشعراء مكانا ، إذا انبعث من مبادئ الدين والاخلاق ،  
وابتعد عما يغضب الله ورسوله .

(٥) الأحاديث الواردة فى النهى عن بعض الشعر، ولعمرك وكذلك  
ذم بعض الشعراء ، حددت المنهى عنه والمكروه بأنه ما كان متضمنا  
لهجاء مقذع أو أذى للرسول والمسلمين أو صده عن سبيل الله .

(٦) سماع الرسول - صلوات ربه عليه - للشعر واستنشاده ،  
ودعائه لبعض الشعراء ولما بهم دليل واضح جلى على موقف السنة  
- وهى تفسر القرآن - موقف الرضى والفرحيب .

(١) الواقعة ، آية ٨٠

(٧) اتخذ الرسول للشعر سلاحاً جاء بعد أن بدأ شعراء قريش المعركة الكلامية ، ورموا الرسول والمسلمين بسهام القول المسموم ، فهي الضرورة التي تبيح مخطوئهم ، وحين فتحت مكة ، وانتهت المعارك الكلامية كف الشعراء المسلمون عن الهجاء ومنعه الرسول وشيوخه .

(٨) سار الخلفاء الراشدون — رضى الله عنهم — على نهج القرآن والسنة فاستمعوا للشعر واستأشدوه ، لكنهم حاربوا الشعراء الهجائيين وأخذوهم بالشدّة حتى يحافظوا على مبادئ الإسلام ووحدّة المجتمع .

فالإسلام — ممثلاً في القرآن الكريم والسنة المشرفة وسلوك الخلفاء — هياً للشعر مكاناً ، ورحب به فننا إنسانياً مهنياً ، يعبر عن النفس والحياة ، ويدعو إلى الحق والخير والجمال ، كذلك فإن الإسلام شجّع الشعراء ، ودعاهم لأداء رسالتهم في سبيل نشر العقيدة ، وحماية الأخلاق ، وبناء المجتمع ، لكن الإسلام أيضاً نهى عن تحويل الشعر إلى إيذاء للمسلم في عرضة ودينه وخلقه ، وطارد الشعراء إذا صاروا حرباً على الدين أو الأخلاق ، وحين يرقون وحدة المجتمع .

رابعاً : حالة الشعر في عهد النبوة والراشدين.

يتفرج عن قضية الإسلام والشعر، قضية أخرى تار حرها الخلاف  
وتعارضت فيها الآراء ، وهي الحكم على الشعر في عصر النبوة  
والراشدين : أكان خاملاً ضعیفاً ؟ أم قويا نشيطاً ؟

وكما وجدت النفوس المريضة — مستهزئين وعرباً متفرنجين —  
بجالاتهم الإسلام في موقفه من الشعر ، حين تفحص للاحداث  
عن ظروفها ، وتبهر النصوص من مواقفها ، كي 'تغيب' الحقائق ،  
فكذلك تجد تلك النفوس بجالاتها لإثارة الغبار حول أضواء فترات  
تاريخنا الإسلامي: عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله  
عليهم ، فتدعى موات الشعر وركوده ، وتوجز الحديث عنها كي  
تغيب الرؤية .

لقد اعتدنا أن نقسم عصورنا الأدبية ، فندمج هذه لفرة  
الباهرة ، مع فترة حكم الأمويين ، بحجة قصرها د وفكفي عادة في  
مدارسنا بتدريس نص مقتضب لحيان بن ثابت ، ليمثل العصر النجوى ،  
وأخر لكعب بن زهير ثم نمضي لنستوهب أدبيا ما يمثل جنويات التاريخ  
والفرق السيامية الطارئة ، (١) وقد لا يستغرق ذلك من المدارس أكثر  
من صفحات قليلة ، مجاهدا اتهام باطل الإسلام بأنه خنق الشعر وضيق  
على الشعراء ، ثم يفردون بقية الكتاب الضخم لعصر الأمويين في  
تفصيل لا مزيد عليه .

---

(١) شعر عصر صدر الإسلام : د . محمد عادل الهاشمي ص ٥



والأصل أن نعتز بفترات الخصوبة والانحصار في تاريخنا ونسبب الحديث عنها ، عسى أن نخلق في النشء قسوة ومثالا ، ونزيده عن يمة ونضالا .

فكان الأولى استعراض نماذج من الشعر الإسلامي الذي واكب الدعوة مسجلا أحداثها ، متغنيا بانحصاراتها ، مناخا أحوالها ، وأن نشيد بدور الشعراء في هذه الفترة . على أن بعض الدارسين المعاصرين قد تدارك الموقف فخص عصر النبوة والراشدين بكتاب مستقلة (١)

وحين نستطلع رأى مؤرخي الأدب — وهم كثير — حول شعر تلك الفترة فإننا نفاجأ بتعارض الآراء ، وتناقض النصوص ، حتى أفوشك ألا نهتدي للحقيقة والصواب .

ويبدو أن القدماء كانوا ينظرون إلى الجوانب فيحكمون على كل منها منفردة . وجاء المحدثون فأخذوا عنهم نقفاً من النصوص تخدم آراءهم ، فن قال بصف الشعر آنذاك وجدما يؤيده في كلام ابن سلام والأصمعي وابن سبلدون وابن قتيبة ، ومن قال بقوته ونهضته شعر — أيضا — على إنباتات من كلام هؤلاء .

بل أسرت عدوى النظرة الجوانبية إلى بعض المحدثين ، فوجدناهم

---

(١) مثل الدكتور صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين .

يذهبون من اليمن إلى اليسار بين صفحة وأخرى (١) .

ومن هنا رأيت الطريق الأمثل أن أعرض جميع الآراء وأناقشها رأياً رأياً ، ثم نتعرف على نماذج كافية - من شعر تلك الحقبة ، نماذج من كل الأعراس التي طرقتها الشعراء وقتذاك ، وفي مختلف البيئات العربية ، كي نصل في النهاية - من المناقشة والاستعراض النصي إلى أكثر الأقوال قرباً من الحقيقة ، ولانصافاً للإسلام وللشعر .

أولاً : حجج الفاتلين بضعف الشعر : تندفع أدلة وحجج الفاتلين بضعف الشعر في عصر النبي الكريم وخلفائه الراشدين ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب حين نبدأ بأقوى تلك الحجج في نظر أصحابها ، وأكثرها دورانا على الفلسفة ، حتى يمكن القول بإجماعهم عليها ، وهي الأدلة والحجج المنصلة بالإسلام في موقفه من الشعر .

وموجز تلك الحجج :

(١) الموقف العنيف الذي وقفه القرآن من الشعر .

(٢) محاربة الرسول والقرآن للشعر .

(٣) تعارض قيم الإسلام مع الشعر الجاهلي ، فقد أبطأ أشياء ، وهذب طبائع ، فكان في ذلك خنقاً للشعر .

(١) كتاب تاريخ الشعر العربي للدكتور عبد المريد الكفراوي

ص ٥٣ يذهب إلى إذكاء الدعوة الإسلامية للشعر ، وفي ص ٥٥ يرى أن الإسلام حارب الشعر وأحب أن يقتضيه عليه .

#### (٤) انبهار العرب بالقرآن وانصرافهم عن الشعر .

ولنبداً في تفصيل ما أوجزنا : يطالعنا حول الحجة الأولى قول الأستاذ الدكتور عبد العزيز السكفراوي : « وإنما وقف القرآن من الشعراء هذا الموقف الصريح العنيف لأنهم صدوا عن سبيل الله ، وحاربوا رسوله ، وآذوه في نفسه وعرضه ، ومن يدرى . . لعل القرآن كان يرى في الشعر منافساً يشغل بعض الناس عن تمام الانصراف إليه ، فأحب أن يقضى عليه قضاء نهائياً . هذا هو الموقف العام للقرآن ثم جاءت التعاليم الدينية والروح الإسلامية بتفاصيل وتشريعات تكميل للشعر والشعراء ضربات أخرى غير مباشرة ، (١) .

ولست أدري : أيعنى الأستاذ الباحث من هذا الكلام طمس الحق أم هو يحمله ؟ إن الفقرة الأولى لا تحتاج إلى رد ؛ إذ أن المدارس قد وقف عند قوله تعالى ﴿ لا تقربوا الصلاة . . ﴾ فهو لم يكل قراءة آية الشعراء حيث يقول المولى عز وجل ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . ﴾ وهل كان أمام القرآن إلا أن يقف هذا الموقف من حاربوا الله ورسوله ، وصدوا عن سبيله ؟ وهل يعاقب صاحب الجرم لمن كان غير شاعر ، ويغفر له إن كان شاعراً ؟ كيلا يتهم القرآن بمكرهة الشعر والقضاء عليه ؟

أما الفقرة الثانية التي تصور أن القرآن - لعله - رأى في الشعر -

---

(١) تاريخ الشعر العربي ، ج ١ ، ص ٥٥

منافساً ، فهو القول الغريب الذى لم أصادفه عند دارس آخر ، فأى وجه المقارنة بين القرآن - كلام الله ووحيه - وبين الشعر - الذى مهما بلغ من جمال وكمال فإنه كلام بشر ناقص خطباء ؟ ثم أى وجه للمقارنة بين كتاب تشريع ودين للبشرية جمعاء ، حاضر ومستقبل ، وبين قصائد تعبر عن حالات نفسية وعاطفية ، فى لحظات محدودة ، مهما تفاهت فى قدرتها التعبيرية فإنها خاصة مؤقتة ؟

ثم أين ذهب القرآن بعد ذلك فعوى الشعر - حسب رأيه - فى العصر الأموى ؟ ألم يكن باقياً يهدر الشعر والشعراء ؟ وأين ذهب تعاليم الشريعة ، هل انتهى الإسلام - قرآناً وتشريعاً بعد عهد الراشدين ؟

وإذا كان الإسلام قد وجه ضربات غير مباشرة للشعر والشعراء ، فكيف نفسر ذلك الحكم الهائل - وسوف يشير إليه الاستاذ نفسه - كيف نفسر ذلك الحكم من شعر الجواهضر والبرادى فى جزيرة العرب فى صدر الإسلام ، والذى يوحى كنب الأدب والنابغ والمسير والمغازى وكتب الصحابة ؟

وهناك رأى فى هذا المجال يقول إن نفي القرآن لشاعرية النبي صلوات الله وسلامه عليه ، جعل الناس يظنون أن الشعر من أعراف الجاهلية وتقاليدها ، يحسن التخلي عنه مع بقاء التقاليد الأخرى التى حاربها الإسلام .

وهي حجة نستفادها موافق الرسول وأقواله في الشعر والشعراء ومماعه للشعر واستنشاده ، وإثباته عليه ، وطالبه من الشعراء المصاحمين نظام الشعر الذي يناخون به عن الدعوة ، ويردون كيد شعراء الشرك . فهل يفعل الرسول كل ذلك ويظن الناس أن الشعر تقليد جامد ؟ .

وقيل أيضا في هذا الشأن : إن أعدام الدين قد خاربوه بالشعر . فلما انتصر الإسلام وعم نور الله ، كرهته العرب — أى الشعر — فتباسوه وامتنعوا عن روايته ، وذلك إن صدق فلما يصدق على شعر المشركين الذى تعرض للرسول الكريم ولالدين ، ولكن ماذا عن الشعر الآخر ؟ .

وأضعف الشعر في رأى آخرين أنه كان قبيل الإسلام قد اتجه إلى الخوض في العقائد والقول في الآديان — وذلك يحدث للشعر إذا بلغ الشيخوخة — أى أنه قد هبط مستواه من ناحية ، وصار مخالفا للإسلام من ناحية أخرى .

وما قاله الشعر في العقائد والآديان فيه نظرات صائبة أقرها الرسول وأعجب بها ، مثل بعض أشعار أمية بن أبي الصلت ولبيد وزهير ، وفيه خرافات وأباطيل عامما الإسلام كخيرها من القيم الجاهلية المذمومة عنها ، وذلك لا يبتل الشعر جملة ، ومسألة مربوط المستوى سوف تتناش في موضع آخر عند الكلام عن انتهاء عصر الفحول كما قيل .

ثانيا : عاربة الرسول والقرآن للشعر : كان الشعر الجاهلي  
 جهالا لإظهار العصبية القبلية والاعتداد بالأنساب والاحساب ، وقد  
 حارب الإسلام ذلك ، فكان من الطبيعي ألا يشجع الرسول الشعر  
 والشعراء — هكذا يرى الدكتور درويش الجندى ، ثم يضيف  
 إشارة إلى قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ .  
 وأيضا ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ . وإلى قول الرسول ﷺ «لأن يمتلىء  
 جوف أحدكم ..» ويعقب قائلا :

« فآزور جانب المسلمين عن قرص الشعر وروايته ، على علمهم  
 بأن الدين لم يكرهه على إطلاقه ، وإنما كره منه ذلك النوع الذى يمزق  
 الشمل ويشير دقائق القلوب » (١)

وأظننا قد ناقشنا موقف القرآن والسنة بما فيه الكفاية ، والاستاذ  
 الباحث نفسه يقول « إن الدين لم يكره الشعر على إطلاقه » فلماذا  
 يزور المسلمون إذن عن قرص الشعر وروايته ؟ على كل سوف نرى  
 من خلال استعراض الكم الكبير المتنوع للشعر الإسلامى أنهم لم  
 يتوقفوا عن الفظم ، أما الرواية فيشبهها ذلك التراث الشعرى الهائل  
 الذى نتداوله .

هلى أننا نسلم مع الدارس بأن الإسلام قد نهى عن الشعر الذى

(١) الخطيبه البدوى المحترف ص ٦٣

يمزق الأواصر ، وينتق وحدة المسلمين ، لكنه نوع من الشعر وليس كل الشعر .

ويرى الدكتور محمد عبد العزيز المواني ، أن الإسلام كان لا بد أن يعادى الشعر الجاهلي بوصفه تجسيدا للقيم الجاهلية التي ارتبط بها ارتباطا عضويا دقيقا ، وصورها تصويرا صادقا بكل عاسنها ومساوئها (١)

ولأن العرب كانوا يهيئون شعرهم وينظرون حياتهم شعرا ، أى أنهم لا يفصلون بين الشعر والحياة ، لذلك فإن الإسلام حين يسعى لتغيير حياة العرب وسلوكهم ، فيجب عليه أولا أن يحارب الشعر الجاهلي باعتباره حاويا للقيم والمثل التي تحكم هذه الحياة وتوجهها .

وقد يفهم من ذلك أن الإسلام منع تداول الشعر الجاهلي وقضى عليه قضاء تاما ، حتى تمكن من تثبيت قيمه الجديدة ، مكان تلك التي يحويها الشعر .

وهو ما لم يحدث قط ، بدليل ما بين أيدينا من تراث الشعر الجاهلي ، ونحن لا نختلف مع الأستاذ الباحث في أن الإسلام أتى بتقييم تمارض قيم الجاهلية التي حوّاها الشعر ، غير أن وسيلة الإسلام لبث هذه القيم وتثبيتها لم تسكن بدم الشعر الجاهلي أو بمحاربتها والقضاء عليه ، بل كانت بالإقناع والمثل القدوة ، ولا ريب أن الإسلام عدّ

---

(١) قراءة في الأدب الإسلامي والأموي ص ١٢

الشعر الجاهل ميراثاً تاريخياً ، وسجلاً لعمد مضى ، نغيّره ولكن لا نمحوه ، نتخلّى عنه سلوكاً ومعايشة ، ولكن لا نتخلّى عنه تاريخياً وحضارة .

وحقيقة أن الإسلام طارد كميّاً من الشعر ومنع روايته ، حتى منسى وضائع ، ولكنه شعر المشركين الذين هجّوا رسول الله ﷺ ، وتناولوا أعراض المسلمين وصعدوا عن سبيل الله ، وهو ما نظم في سنوات الحروب بين مكة والمدينة .

ويكمل الأستاذ الباحث رأيه « بل إن موقف الاسلام من الشعر مرتبط بموقفه من الحياة الجاهلية ، التي جاء للقضاء على كثير من قيمها فهو إذا حارب قيمة من هذه القيم ، فإنه بالضرورة يحارب الشعر الجاهل المجسد لها » (١) ثم يعدد طائفة من تلك القيم التي حاربها الاسلام كشرب الخمر والغزل الفاحش والهجاء المقذع والتنازع بالألقاب ، والمدح طلباً للعطاء وكل ذلك تجسد في كم هائل من الشعر منع الاسلام رواجه وانتشاره ، (٢)

أترى يقصد الأستاذ الباحث من محاربة الشعر المجسد لهذه القيم ومنع رواجه وانتشاره ، هل يقصد محوه أو نسيانه أم يقصد ألا ينظم الشعراء المسلمون على نسقه وفي موضوعاته ؟

إن كان القصد الأول فهو ما لم يحدث ، لأن الشعر الجاهل باق

(٢) المرجع السابق ص ١٤

(١) المرجع السابق ص ١٤



— أغلبه — رغم تحسده لتلك القيم والإشادة بها ، وإن كان يقصد ألا ينظم المسلمون مثل ذلك ، فهو ما كان لا بد أن يحدث تلقائيا ودون محاربة من الإسلام للشعر ، فالغيب الجندي الشامل الذي أحده الإسلام ، وتشربته النفوس عن اقتناع عقل و يقين قلب ، ذلك التغيير ، صبح شعرهم بصبحته ، فأصبح ينبع ويصور هذه القيم الجديدة عفويا بلا إلزام ، اللهم إلا في الفادر حين لا يصل الافتناع إلى العقل أو لا يبلغ إيمان القلب مرتبة اليقين لدى البعض القليل من الشعراء ، فينحرفون عن جادة الطريق ، وهذا يؤسـسهم الرسول الكريم ، أو خلفاؤه الراشدون ، كما حدث في المواقف المروية قبلا .

وإلى هذا الرأي يذهب الدكتور د صلاح الهادي ، ، فبعد مناقشة موقف الإسلام من الشعر يعلق قائلا : « تخلص من هذا إلى أن الإسلام لم يهرف المسلمين عن الشعر كله ، ولم يشغلهم عن إنشاء ما حسن منه ، أو إنشاده أو سماعه ، وأن الرأية الشعرية لم تنعطل كلها في العهد النبوي ، (١) .

لقد نشط الشعر الاسلامي في حواضر الحجاز - مكة والمدينة والطائف - كما ظل الشعر في البوادي - قبل أن ينتشر فيها الإسلام - ظل مصورا لحياتها مروجا لقيمها وأعرافها . وكان الأستاذ الدكتور « شوقي ضيف » قد سبق إلى هذا الرأي أيضا : « من الظلم للإسلام أن يقال إنه كف العرب عن الشعر ووقف نشاطه ، فقد كان يشد على كل

---

(١) الادب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٢٧

لسان ، وساعدت الأحداث على ازدهاره لا على خوله ، (١) .

وفي مجال التعارض بين قيم الإسلام والشعر الجاهلي وما أدّى إليه هذا التعارض من محاربة الإسلام للشعر يدل المستشرق دجيب ، بدلوه : . . . إن الإسلام والرسول الذي كان له شاعره الخاص به ، حسان بن ثابت ، قد وقفوا منذ البداية موقفا معاديا للفن الشعري ، ذلك أن هذا الشعر كان سجلا للقيم والمثل الجاهلية التي جاء الإسلام للقضاء عليها .

ويقول مرة أخرى دومن هنا نبحث هذه الحقيقة التي تهدمنا وهي أن ظهور الإسلام لم يخلق شاعرا واحدا في أمة الشعراء ، وأن تسجيل الشعر الإسلامي لأعجاد الإسلام - بالقياس إلى أعجاد الماضي في الشعر الجاهلي - لا يعمد قسيمة كعب بن زهير ( بان سعاد ) وحتى هؤلاء الشعراء المعروفون الذين كانت لهم مكانتهم الشعرية في الماضي ، قد أمسكوا عن قول الشعر ، فلا يعرف مثالا شعر إسلامي للبيد ، ذلك الشاعر العظيم الذي كان شعره ، كما تصوره معانيته المعروفة ، من خير أشعار الجاهلية جهيماء على الرغم من أنه قد عاش بعد إسلامه ما يقرب من ثلاثين عاما ، (٢) .

أوشكت - والله - أن أنجاهل هذا النص لما فيه من سوء فهم.

---

(١) العصر الإسلامي : ص ٤٦

(٢) قضايا الشعر في النقد العربي : د . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٧٥

ومغالطات وجمل بالحقائق ، ولكفى خشيت أن يطالع عليه بعض الناس فيثأثر به أو يتصور صحته ، فلنتبع المغالطات إن : دجب ، يفاقض نفسه من البداية حين يدعى عداوة النبي للشعر ، واتخاذ شاعرا خاصا ، فكيف يكون ذلك ؟ أما رعم العداوة فقد دحضناه من قبل ، وأما أن الإسلام لم يخلق شاعرا واحدا ، ففيه ضيق فهم للبعد الزمني ، لأن الإسلام لا يعنى سنوات البعثة وحياة الرسول ﷺ فقط ، كما لا يعنى سنوات خلافة الراشدين أيضا ، وإنما الإسلام يعنى أكثر من أربعة عشر قرنا منذ ظهوره إلى الآن ، ولذا حدد حكمه بالسنوات الأولى ، أى عشر أو عشرين سنة ، فهم غير كافية طبعاً لحاق شاعر في أى مجتمع ، وليس في المجتمع الإسلامي رحمة ، متى يولد ويتشقف ، ومتى ينبغ شاعرا ؟

وفي القول كذلك جمل بالحقائق الأدبية والتاريخية ، فأين الشعراء المخضرمون الآخرون - خير حسان - كعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير والنابغة الجعدي والأعشى الكبير ، ولبيد وكعب بن مالك والعباس بن مرداس والحسين بن الحارث المري ، والشماع بن ضرار ، ومههم بن نيرة وأبو ذؤيب الهذلي والمجمل السعدي والفخر بن توبل وضرار بن الأزور وأبو عجمم الثقفي والبرقي بن عياض الهذلي وأمية بن حمران الأسكر . . . وذيرهم ؟ والجيع في مطالع العهد الإسلامي ، فإذا تقدمنا قليلا وجدنا الرقيات والسكيت وابن أبي ربيعة ، فماذا يقول دجب ، حينئذ في الشعراء الإسلاميين ؟

وما قاله عن تسجيل أجداد الإسلام في «بانت سعاد، سذاجة وجهل، لأن القصيدة كانت في أول لقاء بين الشاعر والنبي عليه صلوات الله وسلامه، وكان كعب لا ينبغي أكثر من الاعتذار وطلب العفو وإعلان التوبة والإسلام، وقدم بين يدي ذلك ببضعة أبيات تدمج الرسول والمهاجرين، دون أية إشارة لمجد الإسلام، ولجيد له شعر إسلامي ذكره كثير من الدارسين، وبقية الشعراء المعروفين لم يمسكوا عن قول الشعر، وإلا فلن ينسب هذا الحكم الكبير من شعر صدر الإسلام؟

بقي في مجالنا هذا مناقشة قول الأصمعي شاع في كذب النقد وتاريخ الأدب للتقدماء والمحدثين، ويدور حول ضعف شعر حسان، يقول:

والشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخيز ضعف، هذا حسان بن ثابت، فكل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال أيضا: «شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع مثقه في الإسلام» (١).

ولنحتمل أن نستغرب هذا القول من أحد رواة الشعر الجاهلي المشاهير، وأحد اللغويين أيضا، لقد تمارس بذلك الشعر وتشربة، فتربى ذوقه عليه، وصار لا يحسن جمالا إلا فيه، ولا يستمتع بهن سواه، إن ما يصدّر به مقولاته من أن الشعر يحسن في حالات الغضب ومواقف الشدة وحدة الأفعال، ويجهل ذلك في كلمة نكد ثم شر، هذا

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٢

السلام يخالف الحكم النقدي الصائب، وهو أن قوة الشعر وأصالته، أو ضعفه وزيفه وكذا جماله وتأثيره، أو قبحه وهوانه، كل ذلك إنما يرجع إلى مقدرة الشاعر وموهبته، وامتلاكه لادوات التعبير، ثم إلى معاناته الصادقة التجربة ومعاشتها، حتى يستطيع نقل انفعاله المتلقية، وسواء كانت التجربة خيِّرة أو شريرة، سواء كان العامل المؤثر في النفس حاجس رحة وطمأنينة، أو كان نزوعاً للقسوة وفرصاً للقوة، سواء كان حياً أم كراهية، إقبالا أم إعراضاً، ترغيباً أم ترهيباً، وأياً ما كان مصدره: داخلياً أو خارجياً، إن المعول هو التأثير هذا العامل والانفعال به، ثم إيصال هذا الانفعال المتلقى بالتعبير عنه تعبيراً جميلاً صادقاً. وسوف نرجى الحكم على شعر حسن في جاهليته وإسلامه إلى دراسة مفصلة فيما بعد.

والآن نصل إلى حجة إعجاز القرآن وإثبات العرب به، وهم القوم اللسانون للبلغاء، المعتدّون بمصاحبتهم وبيانهم و القرآن أثر في جميل، بالغ من الرفعة أسمى ما يمكن أن ينتهي إليه أثر في هذه اللغة (١) لحدث لهم ما يشبه الصدمة أو الإخام وأثر ذلك على بلاغتهم التي ظهر مدى تواضعها وضآلتها إذا قيسَت بالقرآن، ولذا كف البعض عن قول الشعر، أما من واصل عطاءه، فقد جاء شعره في مستوى أقل جودة لإحساسه بالعجز وشعوره بالعالة أمام هذا الطود الأشم

---

(١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري

د. عبد العزيز السكندر أوى ص ١١٣

الذى لا تتناول اليه الاعتناق ، (١) .

والى هذا يذهب أيضا الأستاذ محمد البهيقي : « فشغلوا بالقرآن ، وسكت الشعراء ليستمعوا إلى كلمة الله » ، (٢) .

ولعل المحدثين قد تأثروا خطي ابن خلدون في قوله « ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أسرار الدين والنجوة والوحى ، وما أدهشهم من أساليب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكنوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك ، وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي ﷺ وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه » ، (٣) وقد فأت المحدثين تحديد الفترة التي انجبرت فيها العرب ، وسكنوا عن الشعر ، كما حاول ابن خلدون ، وإن لم يكن دقيقة في تحديدها . على كل يمكننا أن نناقش هذه الآراء مجتمعة ، فنبسأل : على من يصدق حكم الانصراف عن الشعر ، أو نظمه بمستوى أقل ؟ إن كان على المسلمين فإنه غير جائز ، لأنهم يعرفون أن القرآن وحى إلهي وكلام أنزل الله ، فلا موضع للمقارنة بينه وبين كلامهم ، لقد اعتبروه مثلاً أعلى ، يتأثرون به ويقنعون ببلاغته ، ولكنه ليس مفاغسا يتبارون معه .

(١) الخطيبية : د . درويش الهندى ص ٦٣

(٢) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى

د . عبد العزيز الكفرأوى ص ١١٣

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ٥٤٧

ولا وجه لإدخال شعراء المشركين في القضية لأنهم كانوا  
في القرآن أصلاً ، وأبوا الاعتراف بإعجازه ولجأه ، بدليل  
ادعائهم أنه شعر أو سحر أو كهانة ، وتطاولهم بزعم القدرة على  
الإيمان بمثله ، وبمحاولة ذلك ، وجاء النجاشي الإلهي ردّاً على المكابرة  
( قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،  
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ) (١) . ثم إن هذه الحجة  
لا تتفق وما حفظت عن تلك الفترة من شعر للمسلمين وللمشركين .

وفي تصويري أن مقصد ابن خلدون هو معالجة الأمر على أنه ظاهرة  
اجتماعية ، فالجديد يهز الناس ويشده انتباههم فترة ، يتحيزون فيها  
بين القبول والرفض حتى يألفوه ويقتنعوا به ، ويسهم في نسيج  
عقولهم ويصبح جزءاً من ثقافتهم ، فيتعرب إلى إبداعاتهم الأدبية .  
وهذه النظرة قد تنسر عدم تأثر الشعر تأثراً عميقاً بقيم الإسلام  
ومبادئه في السنوات الأولى للبعثة ، ولكننا لا نصلح لتبرير الفلة  
أو الضعف .

ويعبر د ابن سلام الجمحي ، عن القضية بكلمتي تشاغل وطمع ،  
وذلك مكان انصرفوا وسكنوا فجاء الإسلام فتشاغلت عن الشعر  
العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، وطمعت ( العرب )  
عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨

العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يقولوا إلى ديوان  
مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من  
هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير<sup>(١)</sup>  
ولئن كان النص يعالج مشكلة ضياع الكثير من الشعر الجاهلي ،  
وسوف نتطرق من ذلك إلى مشكلة الوضع والتزييف أو الانهال ،  
إلا أن اتكاه الكثيرين عليه كشاهد على انشغال العرب عن الشعر  
بالإسلام والجهاد ، جعل الدكتور شوقي ضيف يرد عليه<sup>(٢)</sup> وأما قوله  
بأن العرب لم تهت عن الشعر وشغلت بالجهاد ، فينقضه ما تحمله كتب  
الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة ومن أسماء ناظميه ، ويرد  
باحث آخر وفلو كان العرب قد تشاغلوا عن الشعر ورواياته وفقد تأثيره  
على عواطفهم ووجدانهم ، ما أهدر الرسول دم كعب من أجل شعره  
الذي هجاه به ، وما كان الرسول يسكفنه بأن يخلع عليه بردته<sup>(٣)</sup> .  
وفنس الكلام يصدق على مواقف عديدة غضب فيها الرسول  
ﷺ ، لشعر ، أو رضى وأثاب عن شعر . وما الغضب والرضى في هذه  
المواقف أمر شخصي فقط . ولكنه من أجل الجماعة فلو لم يلم الرسول  
بأمر ذلك الشعر حين يتناقل على الألسنة في أنحاء الجزيرة ، لما غضب

(١) قضايا الشعر في النقد العربي . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٧٢

(٢) دراسات في نصوص وأدب العصر الإسلامي ص ٣٩

(٣) نحو أدب إسلامي معاصر : ص ١١٣



أورضى ، واعتراض قريش طريق الأعشى كلما هم بلقاء الرسول فتعبطه عن ذلك بمال يغريه أو تهديد يثنيه ، إنما كان خوفا من أن يسلم ، فيصبح شعره قوة في جانب المسلمين .

لم يكن الجهاد والفتوح شاغلا للعرب عن الشعر ، بل كان من أهم عوامل قوته ، وازدهاره ، كما سنرى فيما بعد .

ثم إننا يجب أن نفرق بين العمل المادى الذى قد يشغل عنه الإنسان بعمل آخر ، وبين الانفعال الذى لا ينفقه مكان أو زمان ، فحينما انفعال الشاعر انفجرت قريحته ، وسال لسانه بكلمات الشعر ، (١) وأخيرا . . فإن بعض الدارسين يرى أن الشعر الجاهلى قد بلغ قمة نضجه ، واعتصر كل ما فى أنماطه من إمكانات فنية قبل الإسلام ، فاجتمع فى فترة قصيرة عدد من كبار الشعراء ، وانتهى عصر هؤلاء الكبار فى وقت إشراف النور الإسلامى ، فكان على الشعر أن يختار بين حياة جديدة بأدوات تعبيرية وقيم فنية جديدة ، وبين الإفلاس واجترار ما قال السابقون ، ولما كان التجديد يحتاج زمانا حتى يتقبله المبدع والمتلقى . ومن هنا نلاحظ هذا الضعف فى شعر صدر الإسلام ، حتى ينمو الجيل الجديد من الفحول يرد إليه قوته ويعوضه ما فقد بانتهاء عصر فحول الجاهليين .

والحق أن هذا القول بانتهاء عصر الفحول قبل الإسلام . وأن الشعر الجاهلى بلغ مرحلة الشيخوخة والوهن ، هذا القول نوع من التعميم غير العلمى ، أو غير الموضوعى ، فن المفروض أن العباقرة

(١) نحو أدب إسلامى معاصر ص ١١٣

وكبار الشعراء أو الأدباء لا يظهرون في عام واحد ولا يذهبون كذلك في عام واحد ، قد يتقارب نبوغهم زمنيا ، وقد يتعاصرون ، ولكن ظهورهم واختفاءهم يتم متتابعا أو متلاحقا بحيث لا تغلو مساحة الأدب والشعر تماما من بعضهم ، ربما زاد العدد أو قل في فترة عنه في أخرى ، ولكنهم لا بد موجودون بشكل أو بآخر ، ذلك منطق الطبيعة وسنة الحياة حتى يسلم السابق رايته للإحق وتستمر المسيرة متواصلة حية ، وهو حكم السكون في كافة المجالات الإنسانية وليس الأدب فحسب .

وفي مجالنا خاصة نجد أن الإسلام قد أشرق نوره على المجزرة وفي الساحة الشعرية أصوات عالية شهيرة ، تنافس وتماهى ، مضيئة إلى التراث ، مهيبة الفرصة لأصوات خضة تنلحس طربقا وتقتدى بالكبار ، إننا نجد وحسان بن ثابت وكعب بن زهير ولبيد بن ربيعة والعباس بن مرداس والحطيئة والهمذليين ، وغيرهم وقبل أن يبرح هذا الجيل ساحة الشعر ودنيا الناس ، كان جيل آخر من النحول يتشرب منهم أصول الشعر ، ويضيف من عنده ، ما لم يلحقه السابقون بسبب التطور ، فلم يكن في عصر الإسلام عباقرة وشعراء كبار ، لما ظهر هذا العدد الغفير من شعراء عصر بني أمية ، وهم على هذا المستوى الرائع ، والذي فاق الجاهليين كثيرا وكيفا ، إن السفوات القليلة التي تفصل بين عصر صدر الإسلام ، وعصر بني أمية ، لا تكفي لنبوغ هؤلاء الشعراء ، لو لم يصادفوا أساتذة يوجهونهم ، وكبارا

يرشدونهم ، ومثلاً يقتدون بها ، وقد لا يكون التوجيه مباشراً ،  
أو التعليم في قاعة الدرس ، ولكنها القدوة والمثال ، والآثار التي  
يربّي ويثقف .

ولا ريب أن الإنصاف يقتضي عرض آراء من قالوا بقوة الشعر  
وازدحامه في صدر الإسلام - وفيهم قدماء ومحدثين - وهم قد  
يستخدمون أدلة القائلين بالضعف على أنها أدلة قوة . إذا  
نظرنا إليهما من زاوية أخرى ، فإعجاز القرآن مثلاً ، حافز  
للشعراء وقدوة لهم في الفصاحة والبلاغة ، تجدد أساليبهم ، وتمدهم  
بأنماط فنية لم تكن معروفة للجاهليين ، والروقة والذين اللذان يشار  
إليهما في شعر حسان أو غيره من الإسلاميين ، هما من تان ودليلا  
تطور سرف تتضح قيمتهما حين يتقدم الزمن ، وتلتق بالفول العذري ،  
أما الممارك بين الإسلام وأعدائه ، ثم حروب الردة ، وما تبعها من  
الفتوح ، فقد كانت خيراً وبركة على الأدب عامة والشعر خاصة ، أو لم  
تظهر شاعرية قريش ، وتمد الشعر بموضوعات جديدة ، وتفجر طاقة  
الإبداع عند كثيرين لم يعرفوا بها قبلاً ؟

وتبقى النيم الإسلامية الجديدة والتي حزن من أجلها محبّوا الشعر  
الجاهلي وتساءلوا في أسف : فماذا بقي من أراض الشعر ؟ (١) . إنها في  
رأي المتصفين طوق النجاة - ليس للحياة العربية فقط - ولكن للعالم

## (١) تاريخ الشعر العربي : ص ٥٥

أجمع ، وأيسر في ميدان الدين والمجتمع لحسب ، ولكن في مجال الشعر والفن عامة . فلنفصل ذلك :

هناك بعض الملاحظات التي توضع في الاعتبار عند إصدار الحكم بالقوة أو بالضعف على الشعر في فترة الذروة والحلفاء الراشدين ، وتلك الملاحظات هي :

١ - قصر المدة الزمنية - موضوع الحكم - فهي لا تتعدى أربعين سنة ، وهي مدة أقصر من أن تتيح الفرصة لنمو الشعراء الجدد ، أو تأصيل القيم الفنية المستحدثة ، أو حتى إنتاج الحكم الشعري الكافي للحكم ، في حين أن الشعر الجاهلي موضوع المقارنة قد استغرق ما بين أومائة وخمسين سنة ، أرسى تقاليده ، وقعد لغونه ، وتوصل إلى أساليبه التعميرية وأدواته ، وخاض التجارب العديدة حتى استكشف طريقه ، وكثرت نماذجه وتنوعت ، فسماحت للدارسين حماية التعميل والدرس والحكم ، بل بهرتهم بكثرتها وتنوعها ، فكيف تصح المقارنة ؟ .

٢ - وهناك كذلك ملاحظة هامة : لقد هاش الشعراء الجاهليون حياة تكاد تكون ثابتة بلا تغيير ، وأشربوا قيما لا تبدل عبر مئات السنين ، وتمكفوا معها وعرفوا طرائق التعبير عنها وتصورها ، أما الشعراء المسلمون فبعد التحول الهائل في القيم والعقيدة على أيدي النبي ﷺ تلاشت الأحداث ، من صدام مع الكفر والشرك ، إلى

فتح مبين ونصر مؤزر ، ثم موت الرسول الكريم وما أحدثه من هزة  
أوشكت أن تذهب باب أعقل العقلاء ، وما تبعه من نقاش حول  
الخلافة .

ثم حروب الردة التي زلزلت عقائد ضعيفة، وهزت نفوساً خائرة ،  
وبعد ما فتوح الإسلام، فوطئ الأمر في أراضى كان يستحيل عليه أن يطأها،  
ورأى حضارات واطلع على ثقافات لم يكن ليراهم — لولا الفتوح ،  
والإهم من ذلك أنه عاش يجارب جديدة ، وعانى هموماً وشواغل لم  
يعرفها آباؤه وأجداده ، حركت في نفسه كوامن الإبداع ولجرت  
على كانه، وحفزته لتصويرها في الشعر ، وليكنما تحتاج زمناً لتختصر .

٣ — وعليها أن نراعى أيضاً — قبل الحكم — أن شعر هذه الفترة  
يضم شعر المسلمين وشعر المشركين ، وأن شعر الشرك قد أهمل وضاع  
أغلبه ، لما فيه من مساس بالدين والرسول والمسلمين ، فالحكم هنا يصدر  
على بعض الشعر وليس عليه كله ، وحتى هذا البعض الذي نحكم عليه ،  
مبعثر متناثر في عشرات الكتب والمخطوطات ، منها كتب الأدب  
الموسوعية ، وكتب السير والمغازي والتاريخ ، كذا كتب الطبقات  
والأنساب وكتب الصحابة ، ولذا : فليس يتسنى لنا حكم صحيح يجمع  
جميع وتصنيف كل هذا الحكم من الشعر ، والدليل على ذلك التوزيع  
للشعر في مطلع المهد الإسلامي ، هو أن النماذج التي ترد منه في كتب  
تاريخ الأدب تختلف وتنوع حسب المصدر الذي أخذ عنه الدارس ،  
فهذا من السيرة ، وذلك من الطبري ، وغيرهم من الأغاني ، وهكذا .

بقي أن نسمع لمن قالوا بالقوة وتعرف على أدلتهم منفصلة :

١ — يقول ابن خلدون . . . لأن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منشورهم ومنظومهم . فإتينا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطيب وجريو والفرزدق ونصيب وغيلان وذو الرمة والأحوص وبشار ، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية ، في خطبهم وترسلهم ، ومحاوراتهم للملوك ، أرفع طبقة من البلاغة في شعر النابغة وعترة وابن كثوم وزهير ، وعلمقة بن عبدة وطرفة بن العبد ، ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم ، والطبيع السليم والذوق للصحيح شاهدان بذلك للفاقد البصير بالبلاغة . والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام وجمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإيمان بمشايخها ، أسكنوها ولجت في قلوبهم ، ونشأت على أساليبهم نفوسهم ، ففهمت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من كان قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ، ولا أنشأ عليها ، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك ، وأرصف مبدئي ، وأهدل ثقفيا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ، وتأمل ذلك يشهد لك به ذونك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة ، (١) .

والى أثر القرآن على بلاغة العرب تشير الدكتور د بنت الشاطىء ،  
وهى تشرح مدى اعتزاز العرب بفصاحتهم ، وكيف كان القرآن  
تشرىفا لهذه الفصاحة ، « فهو آية تقدير لبيان العرب ، لم تبحى له تعطيل  
البيان ، بل لنقر للعرب بشرف القيادة الوجدانية » (١) وفضل القرآن  
لا يقتصر على كونه قمة في جمال التعبير ، ودقة الوصف وكمال البلاغة ،  
أو بقول موجز : إعجاز بياني ، لكن فضله على الأدب شعرا ونثرا  
يمكن كذلك في كونه وحده العرب لغويا حين صهر لهجاتهم في بوتقة  
اللهجة القرشية بعد قطعهم بما بمفردات وأصايب من اللهجات الأخرى ،  
وبذا فتحت مجال الذبوع والانتشار أمام الشعر العربى الإسلامى بعد  
الفتوح ، وكان القرآن الكريم حانظا ومستودعا للرمية أبد الدهر ،  
ورغم تقلبات الأحداث والأزمان ، فظلت من اللغات الحية .

٢ — وفي مقدمة المحققين من مؤرخى الأدب الذين يدفعون تهمة  
ضعف الشعر الإسلامى ويذهبون إلى رأى الماكس ، دكتور  
« شوقى ضيف » ، ويرى أن من أهم الأسباب التى أدت لنهضة الشعر  
وازدماره إبان النهضة وعهد الراشدين ، ما تتابع من أحداث هامة  
مؤثرة فى الجزيرة ثم فيما حولها وكون الشعر - إسلاميا - قد واكب  
هذه الأحداث ، فبكل حدث وقع أسهم الشعراء بتسجيله وإثبات  
نتائجه ، يفخرون بما فيه نصر للدين وإعلاء لكلمة الله ، وينشدون  
بأعداء الإسلام . ففى بداية الدعوة كان الشعر سلاحا فعلا ضد

(١) قيم جديدة فى أدبنا ص ٨٣

الكفار والمشركين ، برد كيدهم وبنافح عن الرسول ﷺ وعن المسلمين ،  
وفي حروب الردة ، خاض المسلم المعركة بلسانه كما خاضها بسيفه ،  
فهاجم المرتدين وحسن المجاهدين .

فلما استقرت الدولة وانطلقت قوافل النور والإيمان إلى أفواج  
الأرض ، رافقهم الشعر يعزف على أوتاره القديمة ويستحدث أخرى  
جديدة ، وفي فتنة عثمان وفي حروب علي ، في كل تلك الأحداث لم  
يحفظ صوت الشعر معبرا عما يعتقه كل فريق من رأى « فالشعر لم  
يتوقف ولم يتخلف في هذا العصر ، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه  
كانوا يعيشون قبله في الجاهلية ، وكانوا قد انجلت عقدة لسانهم وعبروا  
بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم ، فلما أتم الله عليهم نعمة الاسلام  
ظنوا يصنعونه وينظمونه » (١) .

وبعض الدارسين الذين ذهبوا إلى ضعف الشعر الاسلامي لم ينكروا  
مواكبة الشعر للأحداث ، يقول الدكتور الكفراوي « يل لأن كبار  
شعراء تلك الفترة ، البعيدين عن ميدان المعركة ، لم يقلقوا من جاذبية  
تلك الثورة الجديدة المبهمة من الحجاز ، وإن لم يتدخلوا فيها تدخل  
مباشر ، ومنهم الأعشى الكبير الذي مدح الرسول بدالية رائعة » (٢) .  
وقد اعتبر بعض النقاد أن المشاركة المستمرة من الشعراء

(١) العصر الاسلامي : ص ٣٤

(٢) تاريخ الشعر العربي ص ١ ص ٥٤



في الأحداث المتلاحقة ، اعتبروها سبباً لهبوط مستوى الشعر ، وهو قول فيه نظر ، فالأصل أن هذه الممارك كانت عامل إذكاء للشاعرية ، وإثارة البواهب ، ودعوة للشعراء كي يؤدوا دورهم ويبلغوا رسالة الشعر في نصرة الحق والخير ، وهي مجال للتباري والاحتكاك بين الفرائح . أما الاحتجاج بأن شعر الأحداث ربما غلب عليه طابع المناسبات الوقتية ، واتسم بأسلوب الخطابية والمباشرة ، فإن الرد على ذلك هو أن المناسبة كثيراً ما تصبح مجرد تسكينة أو نقطة انطلاق تهيئ عاطفة الشاعر ، وتثير وجدانه ، وتفتح أمامه آفاقاً جديدة ، ثم إن العرب قد اعتادوا على مثل تلك الممارزات الكلامية منذ جاهليتهم ، وهم شعراء بالفطرة والسليقة ، وكثيراً ما يرتجلون ، فليس الأمر جديداً عليهم ، وليس كل شعر المناسبات هابط المستوى أو ضعيف فنياً .

على أن زهو المسلم وهو يحس أنه بشعره ينصر الدين ، ويهلي الحق ، ويهزق الباطل ، ويجهاد في سبيل الله ، كل ذلك يحفزه إلى التجويد ويزيد في طاقة إبداعه .

(٣) ثم يستشهد المعارضون لمسلم الضعف على الشعر الاسلامي بكثرة النصوص التي خلفتها تلك الفترة على عصرها ، لقد خص ابن هشام الشعر بجواب واسع في سيرته ، يضم عشرات القصائد ومئات الابيات وكذلك الطبري ، ثم كتب الادب كالأغاني ، وكتب الصحابة كالإصابة والاستيعاب ، جميعها ذخيرة بقصائد ومطولات وقطع

تدحض زعم من قال بضعف الشعر أو خموله وهو زعم غير صائب ، بل هو زعم يسرف في تجاوز الحق ، وبعد رد الزعم يرى الدكتور « ضيف » أن قوة العقيدة في قلوب الشعراء ورغبتهم في أن يعم نورها جميع الخلق ، مما جعلهم يتسابقون إلى الاشتراك في الجهاد ، وجعلهم لهذا يصعدون عن هذه العقيدة في شعرهم « صدور الشدى عن الأزارح الأرجة » (١) .

ويذهب الدكتور السكفراوي إلى هذا الرأي في إحدى المرات التي انتقل فيها من المؤيدين لتراجع الشعر ، إلى صفوف المعارضين لذلك ، وإن استعمل فعل الظن « وأظننا الآن ، وبعد أن وقفنا على هذا العدد الضخم من الشعراء الذين وقفوا بجانب الدعوة الجديدة أو ضدها ، نستطيع أن نؤكد ما قلناه سابقا ، من أن تلك الدعوة قد أذكت الشعر واجتذبت كثيرا من الشعراء نحوها » (٢) .

(٤) وهناك دليل جديد على النشاط والازدهار الشعري في عهد الرسول الكريم وخلفائه ، وهو نبوغ عدد من الشعراء في بيئات لم تعرف قبل الإسلام بالشعر ، ولم تهتم به ، وتلك هي الحواضر والمدن الحجازية كمكة المكرمة والطائف . لقد عاش الجاهليون زمانا والشعر مركّز في البادية ، وليس للحاضرة إسهام فيه ، اللهم إلا بعض الأهاجي

---

(١) العصر الإسلامي : ص ٥

(٢) تاريخ الشعر العربي : ص ٥٣

بين الأوس والخزرج في يثرب ، فلما بعث النبي ﷺ وتصدت له قريش بالإفكار والكفر ، ثم هاجر بناء على أمره ، وتفجر الصراع بين مجتمع الإيمان في المدينة ومجتمع الكفر في مكة ، وشارك الشعراء في كلا المعسكرين فظهر الشعراء في مكة أولا ، كما كثر شعراء المدينة ، ثم انضمت إلى ذلك الركب الشعري حراضر أخرى ، فالمدن والحواضر الحجازية كانت أوثق اتصالا وأسرع تأثرا بدعوة الإسلام - تأييدا أو معارضة - لقد وفر الإسلام بما أحسنه من زلزلة دينية واجتماعية واقتصادية ، أدت إلى الصراع - وهو أهم باعث للشعر ، وهو الشأرة كما عبر ابن سلام ، أو الصدام العسكري الذي يولد الصراع المسلح .

كذلك اعتدت مكة من قديم على مكانتها الدينية ، وافتخرت قريش بسدانة الكعبة ، فلما جاء الإسلام ، سلمها هذه المكانة فبحثت عن مجال آخر للمجد والشهرة كانت تهمله من قبل ، وهو مجال الشعر الذي رأت فيه أيضا سلاحا باترا .

هـ - ولا مرأى في أن الإسلام وما رافقه من أحداث ، سواء في السنوات الأولى داخل الجزيرة العربية ، أو فيما بعد حين انطلقت الجيوش الفاتحة تكبر باسم الله عبر حدود الجزيرة ، لا مرأى في أن ذلك قد هبأ للشعراء أغراضا جديدة ، وافتحه إلى ميادين لم يطرقها من قبل ومن حسن حظ الشعر الجاهلي أن الإسلام - بما يمثله من قيم أتاح له فرصة ذهبية للتجديد ، حيث أتاح للشخصية الفردية استقلالها

وحررها من داخلها ، وارتقى بها عن الارتكاس في المادة ، وجعلها تستعمر في آفاقا روحية فسيحة وسامية ،<sup>(١)</sup> ولأنها سوف نذكر تلك الأعراس حين نستعرض النماذج فلذلك نترك تفصيلها الآن .

٦ — وآخر ما يستند إليه دعاة القوة والنماء في الشعر الإسلامي هو المطالبة بمنظرة نقدية جديدة إلى ذلك الشعر ، نظرة تتحرر من معايير الشعر الجاهلي ، وتنطلق من إसार جاذبيته ، نظرة تعصم لنفسها مقاييس واعتبارات تلجح من هذا الشعر الذي يتحدث عنه ، ولا تقيسه باعتبارات شعر آخر سبقه ، أيأ ما كانت قيمة ذلك الشعر وروعته .

---

(١) قراءة في الشعر الإسلامي والأموي : ص ١٥

خامسا : نماذج من الشعر الإسلامى

على الرغم من أن الصراع المساح والصراع الشعري ، لم يتفجر  
إلا بعد هجرة الرسول المصطفى ومن آمن معه إلى المدينة، على الرغم من  
ذلك إلا أن نفثات شعرية قليلة صدرت عن البعض ، ومنها ما قاله  
« عثمان بن مظعون » وقد دفعه أذى ابن عمه - أمية بن خلف - إلى  
الفرار بدينه واللجوء للحبشة ، ومن هناك أرسل معاتبا على ما بدر  
منه محذرا لياه من عاقبة البغي (١) :

أيم بن عمرو للذي جاء بنضـة

ومن دونه الشمران والبرك أكنع

أخرجتنى من بطن مكة آمنا

وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع

وحاربت أقواما كراما أعزة

وأهلك أقواما بهم كنت تفزع

سلم لمن نابتك يوما ملية

وأهلك الأوباش ، ما كنت تصنع

كذلك تحفظ الكتب المؤرخة لتلك الفترة قصيدة نادرة ،

نظمها أحد مؤيدى قریش - أبو قيس بن الأسات - وقد خاف مغبة

---

(١) تاريخ الشعر العربى ص ٢٩ . الحمزة للنداء ، تيم بن عمرو : هو

جح - جد عثمان وأمية ، الشمر : الخليج أو البحر .

والشمران هما الخليجان بين اليمن والحبشة ، والبيك اسم لما وضع

منها اليمن ، أكنع : أجمع ، تقذع : تلام وتذكر . الأوباش : السفلة ،  
ملية : كارثة .

النزاع بينهم وبين الرسول ، فنصحبهم في هذه القصيدة أن يسمعوها  
لصوت الحكمة ، ويعالجوا الخلاف بوسائل السلم والجدل العقلي (١) :

يا راكباً أما عرضت فبإفنى  
مغلغلة عني ، لؤى بن غالب  
وقل لهم — والله يحكم حكمه —  
ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب  
مقى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة  
هي الغول الأفعسين ، أو للأقارب  
مقطعت أرحاماً وتهلك أمة  
وتبرى السديف من سنام وغارب  
وتسقطلوا بالأتهمية بعدهم  
شليلا وأصداء ثياب المحارم (٢)

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٩/٣٠ ، مغلغلة : رسالة ، المراحب :  
جمع مرحب وهو المكان الواسع ، السديف : لحام السهام ، الغارب :  
السكاهل .

(٢) الأتهمية : ثياب يمنية فاخرة ، الشليلا : ما يلبدن تحت  
الدرع ، الأصداء : الدروع الصلبة ، الغبر السوابغ : الدروع ،  
القتير : مسامير الدروع ، الجنادب : الجراد .

وبالمسك والكافور غبراً سوابغا  
كأن قنبرها ، عيون الجنادب

ولكن ، ما إن يهاجر الرسول الكريم والمسلمون إلى  
المدينة ، حتى يبدأ الصدام بين معسكر الإيمان والتوحيد فيها ، وبين  
معسكر الكفر والشرك في مكة ، وكان الصدام في ميدان القتال أولاً ،  
ثم نقلته قريش إلى ساحة الشهر ، حين تظارل بعض شمرائها بالقول  
على الرسول ﷺ والمسلمين ، وحينذاك استأذن حسان بن ثابت من  
الرسول في الرد عليهم ، وقيل بل ضاق المسلمون بهجاء المشركين  
فطلبوا من علي - كرم الله وجهه - أن يدفع عنهم سهامهم ، لكن  
علياً اعتذر - أو اعتذر عنه الرسول - وطلب المصطفى عليه السلام  
من الأنصار أن يمشيغوا إلى أفضالهم فضلاً جديداً فيذهبوا الإسلام  
باللسان كما نصره بالسيف ، وبدأ حسان بن ثابت ، ثم انضم إليه  
عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، .

وإن كان الشعر الإسلامي قد بدأ في أول أسره رداً من شعراء  
الأنصار على المشركين بأغراض عديدة ، وفي مناسبات شائعة ، إلا  
أنه فيما بعد ، ولا سيما حين فتحت مكة وعم الإسلام جزيرة العرب ،  
اتسعت نطاقه وتعددت مجالاته ، وكانت الفتوح الإسلامية خارج  
الجزيرة بمثابة فتوح شعرية عظيمة الأثر واسعة الأرجاء .



والمنستر عرض الآن نماذج من الشعر الإسلامى - دون التعرض لغير المسلمين - حتى يتسنى لنا الاطلاع على هذه الصفحات الوضيئة من تاريخ الشعر الإسلامى ، وتحرى الحقيقة فى مستوى ذلك الشعر : من ضعف أو قوة ، وازدهار أو خمول . ورأيى - أعظم لهذا الحكم من الشعر أن أعرضه بحسب الأغراض أو الموضوعات ، وبذا يأتى العرض شاملا من الناحية الزمنية لعصر الرسول ﷺ ، ثم خلفائه الراشدين ، على أن التتابع التاريخى سوف يتحقق ضمنا حينما نبدأ بالأغراض الإسلامية المبكرة ، مثل مدح النبی الكريم ، وهجاء المذركين ، وثناء الشهداء فى معارك مكة والمدينة ، وتهديد المشركين واليهود بما أعد المسلمون لهم ، والفخر بالانتصارات الإسلامية .

وتأتى بعد ذلك أغراض جدت فى شعر الفتوح : كالحنين والافتراق ووصف البلاد الجديدة وشعوبها ... وهكذا .

١ - مدح الرسول صلى الله عليه وسلم : يُعد مدح النبی ﷺ والاشادة به فى مقدمة الأغراض المستحدثة والمجالات الجديدة للشعر العربى ، فحينما أشرق فجر الإيمان كان الرسول المصطفى هو المبلغ لهذه الرسالة السماوية ؛ وكان نبراسا وهاديا ، ومثلا وقادة ، ومبشرا ونذيرا ورحمة مهداة ، وكان مدحه غير المدح الذى عرفه الشعر فى جاهليته للسادة والملوك ، امتعاضا للمال أو طلبا للشهرة والمجد الأدنى ، فيحشد الصفات الحمودة فى مبالغة وتضخيم ، وقد يقول غير الحق ، وقد يمدح بما لم يوجد ، بل كان مدحه - صلوات الله عليه جمادا فى

سبيل الله وقربى إليه سبحانه ، كان دفاعاً عن الدين وتثبيتاً له ، كان اقتباساً من هذا النور واهتداء به ، ومن هنا فقد كانت القصائد المخصصة لهذا الغرض كثيرة عديدة ، وكانت القصائد التي نظمها أصحاب الأغراض أخرى ، يحاول أن تشرف بأبيات في مدحه تتناثر خلالها كالعبق الشدي ، وإذا كان الاختيار صعباً - في هذا الحكم - بين القصائد والأبيات ، إلا أننا حرصاً على الإيجاز ، نكتفي بأبيات من قصائد لـ **الجرود الدلالة والنشيل** .

• يقول الأعشى الكبير من قصيده تبلغ أربعة وعشرين بيتاً (١):

ألا أيها السائل : أين يعمت

فإن لها في أهل يثرب مرعدا

فأليت لا أرى لها من كلاله

ولا من حنى ، حتى تلاقى محمدا

نبي يرى ما لا ترون ، وذكره

أغار - لعمري - في البلاد وأنجدا

له صدقات ما تعب ، ونائل

وليس عطاء اليوم مانعه غدا

أجرك : لم تسمع وصاة محمد

نبي الإله ، حين أوصى وأشهد

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق د . محمد حسين ص ١٣٥

لماذا أنت لم ترحل بزاد من النقي  
ولا قيت بعد الموت من قد تورد  
ندمعة على أن لا تكون كمثله  
وأنت لم ترصد ، لما كان أرصدا  
• ويقول عبد الله بن رواحة (١) :  
لما تفرست فيك الخير أعرفه  
والله يعلم أما خافى البصر  
أنت النبي ، ومن يحرم شفاعته  
يوم الحساب ، لقد أزرى به القدر  
فثبت الله ما آتاك من حسن  
فثبت موسى ، ونصر آكلذى نصرنا

• وعبد الله ابن الزبير الذي تناول على النبي بالمجاهد سنوات  
وهو مشرك ، أصبح شديد الندم على ما قدم حين هداه الله فتأب واعتذر  
بقصائد عديدة ومدح الرسول مرات كثيرة منها :

---

(١) شعر عصر صدر الإسلام ص ٩

يا خير من حملت على أوصالها  
 عيرانة سرج اليزيدى رسوم  
 لى لمعتذر إليك من الذى  
 أسديت ، إذ أنا فى الظلام أهيم  
 فاعفر ، فدسى لك والذباى كلاهما  
 زلى ، فإنك راحم مرحوم  
 وعليك من سميت المليك علامة  
 نور أغر ، وغاتم مختوم  
 أعطاك بمدح محبة برهانه  
 شرفاً ، وبرهان الإله عظيم (١)  
 ومن شعر العباس بن مرداس قوله مشنفاً على النبى (٢) :  
 رأيتك يا خير البرية كلها  
 نثرت كتاباً جاء بالحق معلماً  
 ونورت بالبرهان أسراً مدمساً  
 وأطفأت بالبرهان ناراً مضمرماً

---

(١) المرجع السابق ص ٧٥ . عيرانة : ناقة أصيلة ، : سرج : ليثة  
 رسوم : ثابتة الخطوة ، سميت : دلائل وظواهر .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٧

فمن مبلغ عن النبي محمدا

وكل امرئ يحزى بما قد تكلم

• يقول دحسان ، - شاعر الرسول - في إحدى روايته التي تعد  
رداً منهما على القائلين بذهاب الشعر الاسلامي (١) :

أغر ، عليه للنبوة خاتم

من الله مشهود ، يلوح ويشهد

وضم إليه اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الخس المؤذن : أشهد

وشق له من اسمه ليحمله

فقدوا لعرش محمود ، وهذا محمد

نبي أمنا بعد يأس وفترة

من الرسل ، والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً

يلوح كما لاح الصقيل الممعد

وانذرنا ناراً وبشر جنة

وعلمنا الإسلام ، قاله محمد

---

(١) الادب في عصر النبوة والراشد بن ص ٢٤٨

ويقول في هزيمته التي دعا له الرسول بالجئمة مرتين من أجلها (١)  
وفيها يذمر قریشاً ويرد على أبي سفيان :

هجوت محمدا فأجبتُ عنه

وعند الله في ذاك الجراء

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد مهكم وقاء

أتهجوه ولست له بكتفء

فشركا لخديك الفداء

هجوت مباركاً برا حنيفاً

أمين الله شيمته الوفاء

٢ — تمجيد الدعوة الإسلامية ومدح المسلمين الأوائل :

لا ريب أن المسلمين الأوائل — مهاجرين وأنصاراً — أصحاب  
العزيمة والارادة ، الذين واجهوا الشرك وهو في أوج قوته ،  
وعنفوان جبروته ، لا شك أنهم أصحاب الفضل الجديرون بالثناء والإشادة  
فتقدّموا — مهاجرين وأنصاراً — عبء الجهاد في سبيل إعلاء كلمة  
الحق ونصرة الدين ، ولم يقصّر الشفراء المسلمون في هذا المجال ،

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣

فلا تكاد تخلو قصيدة إسلامية على عهد الرسول والراشدين من أبيات  
تمدح الأنصار أو المهاجرين أو كليهما معاً ، وتشيد بدورهم البطولي  
في قهر الدعوة وموازرة النجى ، ثم تمجّد الإسلام وما أظاء الله به على  
العرب من نعمة الهداية وفضل الرشاد ، ها هو كعب بن زهير في  
موقف الاعتذار والقوبة ، يذكر للمهاجرين فضلهم ويمدحهم (١) :

في عصبة من قريش قال قائمهم

ببطن مكة ، لما أسلموا : ذلوا

ذلوا فما زال أنكاس رلا كشف

عند اللقاء ، ولا ميل معانيل

مشم المرانين أبطال ، لبوسهم

من نسج داوود ، في الهيجا سرايل

يمشون مشى الجبال الزهر يعصمهم

هضرب إذا ورد السود التنايل

لا يفرحون إذا نالت رماحهم

قوما ، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

لا يقع الطعن إلا في نحورهم

وما إن لهم من حياض الموت تليل

---

(١) شرح بانت سعاد : ص ٨٦

ثم يستدرك في قصيدة أخرى ما فاتته من مدح الأنصار ، ولهم  
فضل النصر والمؤاخاة والإيثار على أنفسهم (١) :

من سرته كرم الحياة فلم يزل

في مقنّب من صالح الأنصار

ورثوا المكارم كابراً عن كابر

إن الخيار هم بنو الأخيار

المكرهين السمرى بأذرع

كسوالف الهندي ، غير قصار

الباذلين نفوسهم لتبقيهم

يوم الهياج وسطوة الجبار

يتظاهرون كأنه نكك لهم

بدماء من علقوا من الكفار

قوم إذا هوت النجوم فإنهم

للطارقين الفارلين مقار

ويجمع حسان في مدحه بين الأنصار والمهاجرين ، فهم إخوة ،

---

(١) في الأدب الإسلامي والاموي ص ٣٥



يقول في رده على الزبرقان بن بدر (١) :

إن الذوائب من فخر وإخوتهم  
 قد يبتئوا سنة للناس تدجع  
 قوم إذا حاربوا ضروا عدوم  
 أو حاولوا الدفع في أشياءهم نفعوا  
 إن كان في الناس سباقون قبلهم  
 فكل سبق لأدنى سبقهم تبع  
 أضعف كذ كرت في الوعى صفتهم  
 لا يبخلون ، ولا يردىهم الطمع  
 أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم  
 فما وى نصرهم عنه ، وما نزعوا  
 إن قال: سيروا أجدوا السبر جهدهم  
 أو قال: هوجوا عاين ساعة ربعوا  
 أكرم بقوم رسول الله قائدهم  
 إذا تفرقت الأهواء والشيع  
 فإنهم أفضل الأحياء كلهم  
 إن جنة بالناس جد القول ، أو سمعوا

---

(٢) ديوان حسان - ٢٣٨

٣ — هجاء المشركين ردّاً على هجائهم : تجاهل المسلمون هجاء  
المشركين أول الأمر ، فلما تهادوا ، وصار السكوت عنهم قد يفسر بالهجو  
عن إلخامهم ، تصدى لهم شعراء الأنصار ، يقول حسان ردّاً على  
أبي سفيان حين هجا النبي (١) :

أبلغ أبا سفيان أن محمداً

هو النعمن ذوالأفنان ، لا الواحد الوحد

وأبلغ أبا سفيان عنى رسالة

فما لك من إصدار عزم ، ولا ورد

وأنّ سقام المجد من آل هاشم

بنو ابنة مخزوم ، والدك العبد

وما ولدت أفناء زهرة منكم

كريماً ، ولم يقرب عجائزك المجد

وكت دعياً نيط في آل هاشم

كما نيط خلف الراكب للتمدح الفرد

وإن امرأ كانت سمية أمه

وسمراء ، مغلوب إذا باغ الجهد

وهو هجاء بالنسب ، أفاد فيه حسان من مشالب عرفه لإيها

---

(١) الديوان ص ١١٨

أبو بكر ، كما تصححه الرسول ، فكان ذلك موجها لقريش .  
ولحسن أيضا ممدية رائعة في الرد على أبي سفيان ، وهي التي  
دها له الرسول بالجنة مرتين حين سمع أبياتهما ، وفيها أنهف بيت قالته  
العرب (١) :

ألا أبلغ أبا سفيان عفى  
فأنت بجوف نخب هواء  
هجوت محمدا فأجهت عنه  
وعند الله في ذلك الجواء  
أتهجره ولست له بكف  
فشركا لحيدركا الفداء  
فإما تشقني بنو لؤي  
جذيمة ، إن قتلتهم شفاء  
وفي هجاء قريش يقول عبدالله بن الحارث بن عدي (٢) :  
وذلك قريش تجحد الله حقه  
كما جحدت عاد ومدين والحجر  
فإن أنا لم أبرق فلا يسعني  
من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر

---

(١) ديوان حسان ص ٧١ (٢) نظرات في الشعر الإسلامي ص ٣٢

بأرض بها عبد الإله محمد

أبلىخ ما في النفس إذ بلغ النقر

(٤) حرب نفسية ضد المشركين : عرف في الجاهلية وصدر

الإسلام مصطلح ويختلف عنه أو عنهم ، وقصد به ما يعرف حديثاً بالحرب النفسية أو الباردة ، كانت للشاعر يرسل في أبياته نوعاً من التهديد والإنذار ، حين يبالغ في وصف القوة والاستعداد حتى يخيف الأعداء فيترجعون عن الحرب ، يقول معبد الخزاعي يخوف أبا سفيان ابن حرب ، ويخذه عن الرسول :

كادت تهد من الأصوات راحتي

إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل (١)

تردى بأسد كرام لا تنابلة

عهد اللقاء ، ولا ميل معازيل

فظلت أعدواظن الأرض مائلة

لما سموا برئيس غير مخذول

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٥٩ ، الجرد : الخيل ،

الأبايل : الجماعات ، تردى : تسرع ، تنابلة : قصار ، ميل : بغير ، معازيل : جبهته ، تغلظت : اهتزت .

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم  
 إذا تغطمطت البطحاء بالخيل (١)  
 من جيش أحد لا وخش تنابة  
 وليس يوصف ما أئذرت بالقيط  
 ● ويقول شداد بن عارض الجشمي يخوف أهل الطائف: (٢)  
 لا تنصروا اللات إن الله مملوكها  
 وكيف نصركم من ليس ينتصر  
 تلك التي حرق بالنار فاشتعلت  
 ولم يقال لدى أحجارها هدر  
 إن الرسول متى ينزل بساحتكم  
 يظمن ، وليس بها من أهلها بشر  
 ● وكعب بن مالك يذكر بدرأ ويهدد المشركين: (٣)  
 رسول الله يقدمنا بأمر  
 من أمر الله أحكم بالقضاء  
 فما ظفرت فوارسكم ببدر  
 وما رجعوا إليكم بالسواء

(١) تغطمطت: اهتزت وشش: السفلة الرجاج ، القويل: القول ،  
 أى: ليس وصفي خيالا .

(٢) المرجع السابق: ص ٢٥٧ (٣) نفسه: ٢٥١

فلا تعجل أبا مصفيات وارقب  
 جواد النخيل تطلع من كداء  
 بنصر الله ، روح القدس فيها  
 وميكال ، فيا طيب اللقاء  
 ومن أقوى ما قاله حسان في تهديد قریش وتخويلها أبياته  
 في الحميرية قبيل فتح مكة: (١)  
 عدمننا خيلنا إن لم تروها  
 تثير النقع ، موعدها كداء  
 يبارين الاسنة مصفيات  
 على أكتافها الأسل الظماء  
 تظل جوادنا متمطرات  
 تلمظمن بالخز النساء  
 فيما تعرضوا عنا اعتمرنا  
 وكان الفتح وانكشف الغطاء  
 وإلا فاصبروا للجلاد يوم  
 يدين الله فيه من يشاء

---

(١) الديوان : ص ٧٣ ، مصفيات : منحرفات للطنن ، الأسل :  
 الرماح ، متمطرات : تخرج عن الجماعة لسرعتها ، تلمظمن بالخز :  
 يضربن الخيل بخمرهن لردّها .

وقال الله قد يسرتُ جنودا  
 هم الانصار عرضتها اللقاء  
 لنا في كل يوم من عهد  
 قتال أو سباب أو هجاء  
 فنسبحكم بالقواني من هجانا  
 ونضرب حين تختلط الدماء

(هـ) وصف الممارك والسلاج وبلاء المجاهدين : لم تكن الممارك  
 التي خاضها المسلمون - خاصة في الفتوحات على نفس المستوى المحدود  
 البسيط الذي كانت عليه معارك الجاهلية ، وإنما تنوعت الأسلحة  
 وكثرت العدد والآلات ، ومع ذلك ظل المقاتل المسلم على فروسيته  
 وشجاعته وإقدامه ، فما أروعته كثرة الجيوش ، ولا أفزعته الأسلحة  
 التي لم يعدها ، وظل الشجعان على عهده في متابعة الأحداث ، فوصف  
 الممارك بدقة متناهية وذكر الأسلحة لدى الأعداء ، ولدى المسلمين ،  
 وتجهيزاتهم ، بدءا من معارك الإسلام الأولى إلى الفتوحات ، وحتى  
 غزوة عثمان ، يقول كعب بن مالك رداً على هبيرة بن وهب (١) :

نجد لا تبقي علينا قبيلة  
 من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ١٩٢

وفينا رسول الله نلتج أمره  
 إذا قال فينا القول ، لا تطلع  
 نساوره فيما نريد ، وتصرفنا  
 إذا ما اشتى أنا نطيع ونسمع  
 وقال رسول الله لما بدوا لنا :  
 ذروا عنكم هول المفيات وإطعموا  
 وكونوا كن يشرى الحياة تقربا (١)  
 إلى ملك يحيا لديه ويرجع  
 فسرنا إليهم جهرة في رحالهم  
 ضحايا ، عايضا البيض لا تنخسع  
 ، لمومة فيها السخور والقنا  
 إذا ضربوا أقدامها لا تورع  
 لجئنا إلى موج من البحر وسطه  
 أسابيش منهم حاسر ومقنع

---

(١) يشرى : يبيع ، ضحايا : أضحية ضحى ، للبيض : بفتح الباء :  
 السيوف ، وبكسرهما : الخوذ ، تنخسع : تضعف ، ملدومة : كذبية ،  
 السخور : لباس كالدرع ، تورع : تكف . أسابيش : نسبة إلى جبل  
 حبشى ، وهم القرشيون ، نهية : أشراف عتادرن .



ثلاثة آلاف ونمى نصية

ثلاث مئين إن كثرنا وأربع (١)

نغارهم ، نهرى المنية بيننا

نشارهم حوض المغايا ونشرج

نهادى قسى النبع فينا وفيهم

وما هو إلا اليربى المقطع

ونخيل تراعى بالفضاء كأنها

جراد صبا فى قرة يتربع

فلما تلاقينا ودارت بنا الرعى

وليس لأمر حبه الله مدفع

حضر بناهم حتى تركنا سراهم

كأنهم بالافاع خشب مصرج

وراحوا سراعا موجفين كأنهم

جهام هراقت ماءه الريح مقلع

ورحفا وأخرانا بطاء كأننا

أسود على لحم بديشة ظلع

(١) نغارهم : نغير عليهم ، نشارهم : نشارهم ، النبع : شجر

تصنع منه القسى . اليربى : أرتار من يثرب ، صبا : ربح شرقية باردة .

قرة : برد ، يتربع : يجىء وينذهب ، مصرج : مطررج على الأرض ،

موجفين : مسرعين ، جهام : هراقت : أفرغت . بديشة :

هو وضع . ظلع : ثميل الخطر .

ونحن أناس لا نرى القتل سبة  
 على كل من يحمي الزمار ويمسح  
 شددنا بحول الله والأيصر شدة  
 عليكم ، وأطراف الأسنة شرع  
 عمدنا إلى أهل اللواء ، ومن يطر  
 بذكر اللواء فهو في الحدد أسرع  
 فحانوا وقد أعطوا يدا وأخذوا (١)  
 أبي الله إلا أمره ، وهو أصنع  
 وفي آياته التالية ، يضيف دكعب ، إلى ما عرف من أسلحة مادية  
 سلاحا مغفويا جديدا أمد به الإسلام رجالاته ، هو سلاح التقوى ،  
 حين يبيع المجاهد نفسه إلى ربه كي ينصر دين الله ، يقول في موقعة  
 الخندق (٢) :

دربوا يضرب المغلبن فأسلوا  
 مهجات أنفسهم لرب المشرق  
 في عصبة نصر الإله نبيه  
 ٣٣ ، وكان بعبد ذامرفق

- 
- (١) حانوا : ماتوا وهي من الحين ، أعطوا يدا : استسلموا .  
 (٢) شعر عصر صدر الإسلام : ص ٦٠ ، دربوا : من التدريب  
 المعلمين : المتميزين . سابعة : دروع كاملة . النهي الغدير . المترق :  
 الراثق السيلان .

في كل سابعة تنحل فضولها  
 كالنهي هبت ريحه المتفرق  
 نصل السيوف إذا قصرن يخطونا  
 قدما ولاحقها إذا لم تلاحق  
 فترى الجاهل ضاحيا هاما (١)  
 بلته الأكف كأنها لم تخلق  
 و"نعد" الأعداء كل مقاص  
 ورد ، ومجول القوائم أبقى  
 تردى بفروسان كأن كاتم  
 عند الهياج أسود طل ملشق  
 أسر الإله يربطها لعدوه  
 في الحرب ، إن الله خير موفق  
 لتذكرن غيظا للعدو وحبيطا  
 للدار ، إن دلفت خيول النزع

(١) ضاحيا : راضحاً ظاهراً . بله : وكذلك ، مقاص : جواد طويل  
 القوائم . ورد : أشقر . مجول : في قوائمه يباض . تردى : تسرع .  
 ملشق : ذلق وطين من الطل .  
 ميطا : حماية وإحاطة .

ويهيئنا الله العزيز بقوة  
 منه ، وصدق الصديق جماعة نلتقي  
 ونطيع أمر نبيها ونحججه  
 وإذا دعا لكريمة ، لم نسحق  
 وفي يوم اليمامة — إحدى معارك الردة — على عهد دأبى بكر  
 الصديق ، يصف دضرار بن الأذور ، لقاء المسلمين باتباع سجاج  
 بن الحارث ومسيحة الكذاب : (١)

ولو سألت عما جنوب لاخبرت  
 عشية سألت عقرها وملمم  
 وسال بفروع الواد حتى ترقرقت  
 حجارتها ففوها من القوم الدم  
 عشية لا تقف الرياح مكانها  
 ولا النيل ، إلا المشرق المصمم  
 فإن تبتغى الكفار غير مليمة  
 جنوب ، فإن تابع الدين مسلم  
 أجهاد إذ كان الجهاد قضية  
 والله بالمرء المجاهد أعلم

(١) نظرات في الشعر الاسلامي والأدبي : ص ٤٤

ولم يفك الشاعر المسلم أن يشير إلى الفيلة التي يقذفها الفرس أمام  
الجيش فتفزع الخيول ، في القادسية خضر هند كبير من الشعراء  
وممنهم ربيعة بن مقروم الضبي : (١) الذي ذكر الجاحظ أبياته عن  
الفيل في كتاب الحيوان ، يقول :

ودعوا نزال فكنت أول نازل

وعلام أركبه إذا لم أنزل

ودخلت أبهة الملوك عليهم

ولشر قول المرء ما لم يفعل

وشهدت معركة الفيول وحوها

أبناء فارس يهينها كالأهبل (٢)

متسربلي حلق الحديد كأنهم

جرب مقارفة هنية مهمل

وفي نفس المعركة — القادسية — لا يكتفي الشاعر قيس بن

المكشوح المرادي ، الذي قتل د رستم ، قائد الفرس ، لا يكتفي بوصف

المعركة وإنما يبدأ من أول الرحلة (٣) :

(١) المرجع السابق : ص ٥٨ - كذلك : المعجم الإسلامي : ص ٦٤

(٢) البيهقي : الخوذة ، الأهبل : حمار أبيض ، جرب : إبل مصابة

بالجرب ، مقارفة : مريضة بالقرص ، وهو داء يقتل الإبل ، هنية :

طلاء للجرب ، مهمل : الذي يهمل الإبل .

(٣) المعجم الإسلامي : ص ٦٣ . تردى : تسرع .

جلبت الخيل من صنعاء تردى  
 بكل مدحج كاليت مسامى  
 إلى وادى القرى فديار كلب  
 إلى اليرموك قابلد الشامى  
 وجئنا القادسية بعد شهر  
 مسومة ، دوابرها دوامى (١)  
 فناهضنا هنالك جمع كسرى  
 وأبناء المرازبة الكرام  
 فلما أن رأيت الخيل جالت  
 قصدت لموقف الملك الهمام  
 فأخرب رأسه فموى صريعاً  
 بسيف لا أفل ولا كهام

٦ — الإقدام على الجهاد والفرج بالشهادة : لم يسكنى حرص

المسلمين على التسابق للجهاد والاشتراك فى كل المعارك دافعه تحقيق  
 النصر على الأعداء فحسب ، وإنما لاحت أمامهم أهداف عدة ، جميعها

(١) مسومة : بها علامة ، دوابر : عراقيب ، دوامى : ماطخة

بالدم ، المرازبة : رؤساء الفرس ، أفل ، مثلم ، كهام : كليل .

تتصف بالسمو والهبالة ، فنشر دين الله ، والإطاحة بعروش الكفر  
والهرك ، هي الغاية القصوى ، ولتسليما يسمى الجهاد إلى النصر ،  
لا يمنعه من ذلك حرص على الحياة ، لأن من غاياته أيضا الفوز  
بالشهادة ، وهل أعل مقاماً من جنة الخلد يقيم بها الشهداء أحياء عند  
ربهم يرزقون ، من هنا كان تراهم على الذهاب للمعركة ، وألم من  
ممنعه حوائل عن الاشتراك ، ومن هنا كان فرحهم بالشهادة وطالبهم  
إياها ، وكان رضاهم بكل ما يلاقون في الميدان من أعدائهم ، أرسل  
النبي ﷺ وفدا لبعض القبائل ليقدمهم في الدين ، لكنهم غدروا  
بالوفد ، وأعدوا لصلب رئيسه وهو : دخيل بن عدى ، فقال : (١)

إلى الله أشكو فربى ثم كرى

وما أرى صدا الأحراب لي عهد مصرى

فذا العرش صبرنى على ما يراد بى

فقد بضغوا على وقد ياس مطمعى

وقد خيرنى الكفر ، والموت دونه

وقد همت عيناى من غير مرجع

فوالله ما أرجو إذا مت مسلما

على أى جنب كان في الله مصرى

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٣٤٠

ولست بمجد للعدو تنفضها  
ولا بهزعا ، إني إلى الله مرجعي

واستمع إلى « بشر بن ربيعة الخثعمي » يهزئ قسابق المجاهدين ،  
وقد تمنوا لو أن لهم أجنحة فيطربون إلى الميدان (١) :

تذكر - هداك الله - وقع سيفنا  
بباب قديس ، والمكتو عسير  
عشية ود القوم لو أن بعضهم  
يعار جناحي طائر فيطير  
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة  
دائفا لأخرى كالجبال تسير

ويشبهه « البزيع بن عياض الهذلي » نفسه بالجدي الكبير المربوط  
في موضعه لا حيلة له ، وكان كبر سنه قد منعه من مرافقة أبنائه إلى  
الميدان (٢) :

- 
- (١) المعصر الإسلامي ص ٦٣  
(٢) السابق ص ٥٦ . أملاخ : اسم مكان ، اليمر : الجدي الكبير ،  
خلافهم : بعدهم . العتر : شجر له أوراق صغيرة .



أسائل عنهم كلما جاء راكب  
مقيلا بأملاج كما ربط اليعر  
فأ كنت أخشى أن أقيم خلافهم  
بسته أيبسات كما نبت العتر

ومن أعجب ما حدث في موقعة القادسية نعة وأبي محجن النقي ، كان  
شرايا للخمر حتى أقيم عليه الخلد مرات ، ثم حبسه وسعد بن أبي وقاص ،  
بأمر الخليفة وعمر بن الخطاب ، وشابت معركة القادسية فاشتعل حماسا  
وهو الفارس المقدام ، ورجا وسعدا ، أن يطلقه ليسهم في شرف  
الجهاد ، لكنه أبى ، فاتجه لوجه «سعد» وتبنى أن يطلقه يوما وتعيده  
فرسا تسمى البلقاء ولما عهد أن يرجع في الفجر فيعود لقيده ، فأبت ،  
واستعطفها بأبيات حزينة تعبر عن ندمه ورغبته في التوبة : (١)

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا  
وأترك مشدودا على ومائيا  
حينئذ من الحرب الغوان وقد بدت  
وأعمال غيري يوم ذاك العواليا  
ولله عهد ، لا أخينس بعهده  
لئن فرجت ، أن لا أزور الحوائيا

---

(١) نظارات في للشعر الاسلامي والآهوى : ص ٥٦

فرأيت له زوجة سعد ، وأطلقته ، فحمل على الأعداء ببسالة  
أدمشت المحاربين حتى ظنوه مأسكا ، وقال « سعد » د الطمن طمن أبي محجن  
والعدو عدو البلقاء ، ولولا محبس أبي محجن لقلت : هذا أبو محجن  
وهذه البلقاء . . وانتهى القتال في منتصف الليل فعاد لقيده وهو  
يقول : (١)

لقد علمت ثقيف خير خير  
بأنا نحن أكرمهم سيوفا  
وأنا رفدكم في كل يوم  
فإن جعدرا فسل بهم عربفا  
وليلة قارس لم يشعروا بي  
ولم أكره لخرجي الزحوفا  
فإن أحبس فقد عرفوا بلائي  
وإن أطلق أجزعهم حنوفا

و د عبد الله بن رواحة ، أحد فرسان الشعر الثلاثة في المدينة  
يتجهز لغزوة مؤتة ، ويدعو له مودعوه بالعودة سالما فيرد :

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٥٦

لكنني أسأل الرحمن مغفرة  
 وضربة ذات فرغ تغلف الوبدا<sup>(١)</sup>  
 أو طعنة بيدي حران ممهزة  
 بحربة تنفذ الأحشاء والكبد  
 حتى يقال إذا مروا على جدتي  
 يا أرشد الله من غاز وقد رشدا  
 ويستغفره أمل المهادة ، فيحصد فرسه بالراحة من الأسفار ،  
 فقد هزم على الرحلة الأخيرة إلى جنة الرضوان :  
 إذا أدبني وحلت رحلي  
 مسيرة أربع بعد الحساء  
 فشأنك أنعم وخلاك ذم  
 ولا أرجع إلى أهل ورائي  
 وجاء المسلمون وغادروني  
 بأرض الشام مشتهى اللواء  
 وفي المعركة استشهد حامل اللواء — د زيد بن حارثة —

---

(١) شعر صدر الإسلام : ص ٦٩ . ذات فرغ : واسعة عميقة .  
 الوبد : الرغبة ، وهو يقصد دمه .

فعله « جعفر بن أبي طالب » ، واستشهد فحمله « عبد الله بن رواحة »  
وانطلق يردد وهو يرى بعينيه قلبه منازل الشهداء في الجنة :

أقسمت يا نفس لتنزله  
لتنزله أو لتكرهه  
قد طال ما قد كنت مطمئنه  
جعفر ما أطيب ريح الجنة

ويستجيب الله لرغبة القلب المؤمن التقى ، ويفوز بالشهادة ، لقد  
كان عدد الروم ضعف عدد المسلمين في ذلك اليوم خمسين مرة .

٧ — الفخر بتأييد الدين والانصار لهجرة الإسلام : رغم أن  
الفخر عرض شهري قديم ، لم يستحدثه الشعراء المسلمون ، إلا أن  
الإسلام قد أضفى عليه من السمات ما أكسبه جده ، فجعله يخالف الفخر  
الجاهلي كل المخالفة ، لقد صار الزهو إعلام كلمة الله ، وموضع  
الفخر هو الذود عن الإسلام ، ونشر التعالي والاعتداد يمكن في طاعة  
الرسول والاعتداد به ومناصرة ، ثم يأتي الفخر بالانتماء في القتال  
على أعداء الله ، ولم تخل بعض مواقف الفخر من ذكر الكباء والاجداد ،  
ولكنه يختلف عن ذكر الجاهلية ، إنه لا يفخر بهم من حيث الأصل  
والحكمة والحسب والنسب ، وإنما بسبب أعمال بطولية كتأدية الله  
ورسوله وحفظ الدين وحسن البلاء في الحرب . وأول ما كان من فخر

لإسلامي كان وهو الأنصار بما قدموا من حماية للدين ، ولإيواء  
للمهاجرين ، وتأيد ونصر للنبي الكريم ، يقول حسان (١) :

منعنا بما خير البرية كلها  
إماما ووقرنا الكتاب المنزلا  
نصرنا وآوينا وقوم ضربنا  
- له - بالسيوف ، ميل من كان أميلا  
فإن يأمننا أو يلقنا عن هجامة  
يحد عندنا مشوى كريمة وموتلا

وما أكثر تفاخر حسان - وحق له الفخر - أليس من الأنصار ،  
أليس شاعر الرسول ؟ يقول تياها (٢) :

قومي الذين هم آوا نبيهم  
وصدقوه ، وأهل الأرض كفار  
إلا خصائص أقوام هم سلف  
للمسلمين مع الأنصار أنصار  
مستبشرين بقسم الله ، قولهم  
لما أنام كويم الأصل مختار

---

(١) ديوان حسان ص ٢٧٦ (٢) الديوان ص ٣٨٨

أهلاً وسهلاً ، ففى أمن وفق سعة  
 نعم النبى ونعم القسم والجار  
 فأنولوه بدار لا يخاف بها  
 من كانت جارهم ، دارا هي الدار  
 وقاسموه بها الاموال إذ قدموا  
 مهاجرين ، وقسم الجاحد النار  
 ثم يأتي الفخر بالشجاعة والانتصار ؛ في دنهاوند ، يتباهى  
 و هرو بن زيد الحليل الطائي ، ويتمنى لو رآته زوجه باسملا شجاعا  
 غير هيباب رغم قوة العدو وبأسه (١):

الأطربة رحلى ، وقد نام صحبتي  
 بياوان شيرين المذخرف ، خلقي  
 ولو شهدت يومى (جلولاء) حربنا  
 ويوم نهارند الممول استهلت  
 إذن لرات ضرب امرى غير خامل  
 مجد بطمن أروج غير مصلت

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٣١١

ولما دعوا : يا عروة بن مهران  
 ضربت جموع الفرس حتى تولت  
 وكم من عدو أشوس متمرد  
 عليه بجبلى — فى الهياج — أطأت  
 وكم كربة فرجتها وكريمة  
 شددت لها أزدى إلى أن تولت  
 وكم فى سجل البطولة الإسلامية من مجال للفخر والازدهاء ، فى  
 « طاوروس » — بأطراف فارس — يتعالى البطل بإخوانه الأبطال ،  
 ويصفق الشعر للبسالة يقول د خلود بن منذر ، (١) :  
 بطاوروس ناهبنا الملوك وخيلنا  
 عشية شمرلك هلون الرواسيا  
 أطاحت جموع الفرس من رأس حائق  
 تراه كموار السحاب مناغيا  
 فلا يبعدن الله قوما تقاتلوا  
 فقد خضعوا يوم اللقاء العواليا  
 وفى ( واج روذ ) يهمنان ، ينكل المسلمون بقائد الفرس ( موتا ) ،

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٧

ويتمزج الفخر بالنفس مع الفخر بالجماعة في شعر د نعيم بن مقرن، (١) :  
 ولما أمانا أن موتا ورهطه  
 بنى بأسل ، جرّوا جنود الأماجم  
 نهضنا إليهم بالحديد كأنما  
 جبال تراءت من فروع الغلاسم  
 صدمناهم في « واج روذ » بهمعنا  
 غداة رميناهم بأحدى العظام  
 فما صبروا في حومة الموت ساعة  
 لحدّ الرماح والسيوف الصوارم  
 أصبنا بها موتا ومن لف جمعه  
 وفيها نهاب قسمة غير حاتم  
 تبعناهم حتى أروا في شعابهم  
 نقتلهم قتل الكلاب الجواحم  
 ولا ضيق من الفخر بالتميلة ، والاعتزاز بالأصل ، وذكر الماضي  
 التليد ، ما دام الحاضر مشرفا ، وما دام مجال الفخر محدودا ، ومناطق  
 الزهر جهادا في سبيل الله (٢) يقول نافع بن الأسود بن قلبية التميمي ،  
 يفخر بهلاله في القادسية ويتميم :

(١) المرجع السابق : ص ٣٠٨

(٢) نفس المرجع : ص ٣٠٥/٣٩٤



وقال القضاة من معد وغيرها  
 تميمك أكفاه الملوكة الأعظم  
 هم أهل عز ثابت وأرومة  
 وهم من معد في الذرا والغلاصم  
 وهم يضمون المال للجار ما نوى  
 وهم يطعمون الفقر ضربة لازم  
 وحين أتى الإسلام كانوا أئمة  
 وبادوا معدا كلها بالجرائم  
 إلى هجرة كانت صفاء ورفعة  
 لباقية فيهم وخير مراغم  
 لجاءت بهم ضمن للكتائب نصرة  
 فكانوا حماة الناس عند العظام  
 فصفتوا لأهل الشرك ثم تكبروا  
 وطاروا طيهم بالسيف والصوارم

(٨) الرثاء : والرثاء أيضا غرض قديم اكتسب في ظلال  
 الإسلام ملامح جديدة ، وأدبه الشعراء المسلمون بروح متألفة ،  
 حوّلته إلى لون جديد عزيز ، مبدع مفعزة للشعر العربي في تاريخه  
 الحافل العريق .

ولم تقتصر الإضافات الإسلامية في شعر الرثاء على اللغة والأسلوب  
أو على المعاني والأفكار ، لقد شملت هــ ذين المجالين ثم تجاوزتهما  
إلى المنطلق — أو نقطة البدء — الذي يصدر عنه الشاعر في رثائه ،  
لم يعد المجرع المهلك ، والأسى المستجد ، بل صار الصبر الجليل  
والاحتساب عند الله ، تحول الموت من فناء وانقراض إلى مرحلة  
انتقال ، أصبح وسيلة لجوار إله كريم ، والوصول إلى جنة الخلد  
ونعيم المغفرة .

وبعد أن كان القتل في الحرب عارا لا بد من الشار فيه للقتيل ،  
أصبح استشهادا في سبيل الله يتسابق للفوز به جميع المجاهدين ، وكان  
اللابد لشعر الرثاء أن يتغير في العهد الإسلامي ليستوعب تلك المعاني  
السامية الرفيعة ، ومن هنا يمكن أن نعد الرثاء غرضا جديدا .

رثاء الرسول ﷺ : في تصوري أن وفاة الرسول الكريم  
كانت حدثا جللا ، هز قلوب المسلمين وعقولهم ، كانت اختيارا سهرا  
وقفوا أمامه حيارى جزعين ، ولعل البعض ظل واقعا تحت تأثير  
المول أياما وشهورا ، ولذلك أصبح التعبير عن وقع الحدث في النفس  
صعبا ، وتصوير تأثيره على الوجدان شاقا ، وهكذا يمكن لنا تفسير  
قلة قصائد الرثاء التي صيغت بعد وفاته عليه السلام ، أو ضعف  
مستواها الفني ، ومع ذلك فهناك عدد منها على مستوى جيد .  
يقول حسبان (١) :

(١) الديوان : ص ٢٠٧

آليت حلقه بر غير ذى دشل  
 منى آليه بر غير إفتاد  
 بالله ما حملت أنشى ولا وضعت  
 مثل النبى رسول الرحمة الهادى  
 ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد  
 أو فى بذمة جار أو بهيماد  
 من الذى كان نورا يستضاء به  
 مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد  
 مصداقا للمنبين الآلى سلفوا  
 وأبذل الناس الدهووف للجادى  
 خير البرية لآنى كنت فى نهر  
 جار ، فأصبحت مثل المفرد العادى  
 وفى دداليتيه ، الشافية يبدو حسان جازها هالعا ، قد حار لجه  
 وأوشك أن يغيب رشفه ، وأظنهما من أوائل ما قاله فى رثائه عليه السلام (١) :  
 جنبى يقيقك الترب ، لطفى ، ليتقى  
 غيبك قبلك فى بقيق الغرقـد

---

(١) الديوان ص ٢٠٨ ، غرقـد : شجر صحراوى ذكى الرائحة

أقيم بعدك في المدينة بينهم  
يا لطف نفسي ليتنى لم أولد  
بأبي وأمي من شهدت وفاته  
في يوم الاثنين ، النبي المهدى  
فقطلت بعد وفاته متلدا  
يا ليتنى أصبحت سم الأسود  
أو حل أمر الله فينا عاجلا  
في راحة من يومنا أو في غد  
فتمرم ساعتها فتلقي طويلا  
محضا ضرائبه كريم المحتد  
فور أضاء على البرية كلها  
من يهد للنور المبارك يهد  
صلى الإله ومن يحف بعرشه  
والطيبون على المبارك أحمد

وله أبيات أخرى درائية ، وقصيدة دلامية ، وأظننا لو اتبعنا  
كل شعره واجدين الكثير ، ولكن تكشفنا بعض الأمثلة .

وثناء الشهداء : حين استشهد حمزة بن عبد المطلب - عم الرسول

• وكان ذلك بمؤامرة غادرة من همد بنت هبة ، وثاه عدد كبير من شقراء المساهين ، فقد كان رضوان الله عليه حصناً للدين ، وسنداً للعبى ، وقوة للمسلمين ، كان كما سماه رسول الله : أسد الله ، ولذا عظمت الكارثة بفقدته واشتد الحزن ، إلا أن الروح المؤمنة ظلت هى الطابع المسيطر على ذلك الرثاء ، تقول أخته — صفية بنت عبد المطلب (١) :

دعاه إله الحق ذو العرش دعة  
إلى جنة يحيا بها وسرور  
فذلك ما كنا نرجى ونرجى  
لحزة يوم الحشر حين مصير  
فوالله لا أنساك ما هبت العبا  
بكاء وحزنا محضرى ومسرى  
على أسد الله الذى كان مدرها  
يزود عن الإسلام كل كفور  
• ويقول دكعب بن مالك ، فى رثاء دحوة ، (٢) :

أصيب المسلمون به جميعا  
هناك وقد أصيب به الرسول

---

(١) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ٢٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٢ ، ٢٦٤

عليك سلام ربك في جنات  
مخالطها نعيم لا يزول

• وفي غزوة مؤتة استشهد عدد كبير من المجاهدين ، منهم وعبد الله  
ابن رواحة وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة ، فرتاهم كعب  
ابن مالك (١) :

نام العيون ودمع عينك يهمل  
سحاكاً وكف الطيبات المفضل  
في ليلة وردت على مهموما  
طورا أحسن وتارة أتملل  
وكأنما بين الجراح والجشأ  
بما تأوذي شهاب مدخل  
وجدنا على النفر الذين تتابعوا  
يوماً بمؤتة أسندوا لم يقلوا  
صلى الإله عليهم من فتية  
وسقى عظامهم الغمام المسجل

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٤٦٢

ولا ريب أن عظم المصائب في الشهداء ، حفز على رثاء الكثيرين  
 لهم ، لقد نظم حسان أكثر من قصيدة يرثيهم بها ، منها (١) :  
 تلويني ليل يثرب أعسر  
 وهم إذا ما نوم القوم مسهر  
 لذكرى حبيب هيّجت لي هجرة  
 سفوحا ، وأسباب البكاء التذكر  
 بلاء وفقدان الحبيب بلية  
 وكم من كريم يبتلى ثم يصبر  
 رأيت خيار المؤمنين تواردوا  
 شعووب ، وقد خافت فيمن يؤخر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم  
 إلى الموت ميمون النقيبة أزهـر  
 أغر كنصل السيف من آل هاشم  
 أبي إذا سيم الظلّامة يجسر  
 فصار مع المستشهدين ثوابه  
 جنان وملئت الحدائق أخضر

---

(١) الديوان ص ٢٢٣ ، شعوب : بفتح الشين : المنية .

وفى الغزوات المتلاحقة ، عبر الفتوح الإسلامية ، يسقط شهيداه  
بهمولون ، فيدثيم الشعر ، فى معركة جوزجان ببلاد فارس يذكر  
دا بن الغريزة النهشلى ، شهيداه المسلمين (١) :

سقى مزن السحاب إذا استهلت  
مصارع فتية بالجوزجان  
وما بى أن أكون جرعت إلا  
حنين القلب للبرق البمانى  
ورب أخ أصاب الموت قبل  
بكيت ، ولو نعت له بكاني  
دعاني دعوة والحيل تردى  
فما أدرى : أباسمى أم كنانى

وأحياناً يرثى الشاعر نفسه ، أو بعض نفسه ، لأنه قد يصاب  
فى إحدى المعارك ، فيقتل عضواً من جسمه ، وبشكل إيمان وتقوى يستقبل  
الأمر فى رضى ، ويحتسب ما ضاع منه عند الله ، يراه تضحية هينة  
فى سبيل نصرته الدين ، وإعلاء كلمة التوحيد ، دعيد الله بن سبرة  
الطبرى ، وقد قطعت يده فى معركة بارز فيها قائد الروم (٢) :

- 
- (١) نظرات فى الشعر الإسلامى والأموى : ص ٦٢  
(٢) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ٣١٨ وأم جابر : كنه



ويل د أم جار، خداة الروح فارقتي  
 أهرن هلى به إذ بان فانقطعا  
 ينفى يدي خذت منى مفارقة  
 لم أستطع يوم «فطاس» لها تبعها  
 وما ضللت عليها أن أصحابها  
 وقد حرصت هلى أن نستريح معا  
 وقائل غاب عن شأني وقائلة  
 هلا اجتنبت عدو الله إذ صرعا  
 وكيف أتركه يسمي بمنصه  
 نهرى وأعجز عنه بمد ما صنعا  
 ما كان ذلك يوم الروح من خلقى  
 ولو تقارب منى الموت فاكتمعا

يمشى إلى مستميت مثله بطل  
 حتى إذا أمسكنا سيفها قطعا  
 الذين يكن دأرطبون، الروم قطعا  
 فإن فيها بسعد الله منتفعا

ببانتين وجرموزا أقيم به (١)  
صدر القناة إذا ما آنسوا فزعا

٩ — الحنين والاعتراب : رقد نشأ في رحاب الفتوح فرض  
شعري جديد ، هو الحنين إلى الأهل والوطن ، والإحساس  
بالغربة في البلاد التي سافروا إليها لفتحها ، أو التي أقاموا فيها بعد  
الفتح ليسوا قواع الدين . ويحموا ذماره ، وقد يكون الحنين من  
الأهل المقيمين في الوطن إلى ذويهم وأهناهم الذين سافروا للجهاد  
والغزو ، وكلاهما وجهان للحنين الذي كابده العرب لأول مرة ، فالعربي  
لم يتعود الاسفار البعيدة ، وحق التجار الذين كانوا يسافرون للطلب  
البضائع ، كانت رحلاتهم معروفة مألوفة إلى مشارف الشام واليمن ،  
أما في الفتوح فقد شرقوا وغربوا وأيمنوا وأيسروا ، رحلوا إلى  
أقصى الأرض في كل اتجاه ، وربما قيل إن بكاء الاطلال كان لونا  
من الحنين إلى الديار بسبب الرحلة بجماع الماء والسكك ، لكن الأمر  
جد مختلف ، فتنقل العربي داخل الجزيرة لا يشبه تنقله إلى بيئات  
شديدة الاختلاف والتباين ، وتفصلها عن وطنه آلاف الفراسخ ،  
وعند من البحار والأنهار .

كذا فإن بكاء الاطلال لم يلبث أن تحول إلى تقليد متكاف ، يخلو

(١) أم جاز : السكف ، فلتاس : مكان الموقعة ، اكتنعا : دنا  
وأحاط ، أرطبون : قائد الروم ، جرموز : طرف .

من الصدق ، وبفتقد للتجربة المعاناة ، بينما يصدر حنين الشاعر  
الإسلامي من غربة حقيقية ، وإحساس بالبعد المسكاني والزمانى .  
استمع إلى هذا الشاعر يستبد به الحنين فيتمخيل الحيام والمراجع ،  
ويدقق النظر ، وهو يعلم - يقينا - أن الرؤية مستحيلة ، لبعده المعافة  
وكثرة الجواجز ، ولكنه ينظر حساسا بهذا (١) :

أكرر طرفى نحو نجد وإننى  
برغى وإن لم يدرك الطرف أنظر  
حنينا إلى أرض كأنى تراها  
إذا أمطرت عود ومسك وعذير  
بلاد كأن الأفحوان بروضه  
ونور الأفاقي وشئ برد محير  
أحن إلى أرض الهجاز وحاجتى  
خيام بنجد ، دونها الطرف يقصر  
وما نظرى من نحو نجد بنافع  
أجل لا ، ولكنى إلى ذاك أنظر  
أف كل يوم نظرة ثم عبدة  
لعيذك مجرى ماها يتحدرو

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣١٣ ، لم يذكر اسم الشاعر

متى يستريح القلب : إما مجاوز  
لحرب ، وإما نازح يتذكر  
وتهيج فذكرى الحبيبة دموع شاعر آخر ، وقلة يثمن من اللقاء ،  
فيستروح الذنوب من ناحية الديار ، ويشكو غربة الروح بين قوم  
لا يفهمون هذه ولا هو يفهمهم (١) :  
أتبسكي هل نجد وريثا ولن ترى  
بقيتيك ريا ما حبيت ولا نجدا  
ولا مشرفا ما عمت أقفار وجرة  
ولا واطئا من ترجمن ترى جقدا  
ولا واجدا ربح الخوازي تسوقها  
رياح الصبا تملو دكاكك أو وهذا  
تبدلت من ريا وجارات بيتها  
قوى بطيات يسميني مردها  
ألا أيها البرق الذي بات يرتقى  
ويجولو دجى الظلماء ، ذكرني نجدا

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

وفي هذا المجال أيضا يبرز حنين آخر هو حنين الآباء والأهل في  
الوطن لأبنائهم وذويهم الغزاة ، إن الخيل السعدى يشترق ولده شيبان  
الذى يخرج مع الجيش إلى فارس ويتذكر طفولته وسدبه عليه لكي  
يهرك مشاعره (١):

أيها مكفى شيبان فى كل ليلة  
لقلبي من خوف الفراق وجيب  
أشيبان ما أدراك أن رب ليلة  
خيمتك فيهما والغفوق حبيب  
فإن يك مفضنى أصبح اليوم زاويا  
وغصنك من ماء الشباب رطيب  
فإنى حنت ظهري خطوب تنابعت  
فشيى ضعيف فى الرجال ديب  
وكذلك دأمية بن الأسكر ، ، يحن إلى ابنة د كلاب ، الذى  
رحل غازيا (٢):

أعاذل قد عدلت بغير قدر  
ولا تدوين أعاذل ما ألقى

---

(١) نظرات فى الشعر الإسلامى والأدوى ص ٤٨

(٢) تاريخ الشعر العربى ج ١ ص ٨٢

فاما كنت حاذلي فردى  
 ، كلابا ، لذ توجه للهرق  
 فى الفتيان فى هسر ويسر  
 شديد الركن فى يوم التلاقى  
 فلا والله ما باليت وجهى  
 ولا شفقى عليك ولا اشتياقى  
 وإبقاى عليك إذا شدةونا  
 وضحك تحت نحرى واعتناقى

ومن الحزين كذلك ما لم تفصح عنه الزوجة حياء وتعففا ، ولكن  
 الزوج أشار إليه ، الفابرة الجعدى يقول لزوجته (١) :  
 باتت تذكركى بالله قاعدة  
 والدمع ينهل من شأنيهما سبلا  
 يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى  
 كرها ، وهل أمنعن الله ما فعلا  
 ما كنت أعرج أو أعشى فيمذرنى  
 أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

---

(٢) الشعر والشعراء ١٧٩

(١٠) وصف البلاد الجديدة : ومن الأغراض الجديدة في الشعر

الإسلامي ما نطرق إليه الشعراء من وصف البلاد التي رأوها  
في غزواتهم ، سواء من حيث طبيعتها أو مبانيها ومناظرها . فهذا  
« زياد بن مغلظة » يصف الخيبر والخصوبة في الشام (١) :

وأقلت إليه الشام أفلاذ بطنها

وعيشا خصيبا ما تمد ما كله

أباح لنا ما بين شرق ومغرب

مواريث أعتاب بطنها قرامله

وكم مثقل لم يضطالع باحتماله

تحمل عينا عين شالت شوائله

لكن دافع بن الأسود بن قطبة « بفضل ريف الري لطيب

عيشه » (٢) :

رضينا بريف الري والري بلدة

لها زينة من عيشها المنواتر

لها نشر في كل آخر ليلة

تذكر أعراس الملوك الأكاثر

(١ ، ٢) الأدب في عصر النبوة والاشددين ٣١٤/٣١٥

وتجذب كنانس الروم بمعمارها المهيّب وبنائها الضخم وما فيها  
من زخارف فنية تجذب نظر « حارثة بن النضر » (١) :

لله باليرموك قوم طامطوا

أحساب هاتى الروم بالأقدام

فقطعت منهم كنانس زخرفت

بالشمام ذات فسافس ورخام

وفى « مرو » يرى الشاعر منظرا طريفا فلا يملك نفسه من التعجب  
عنه في شعره ، إن بردها القارس ، وثالثها الذى يتساقط على أهلها قد  
دفعهم للاحتماء بلمباب غايضة ودس أيديهم فى جيوبهم فبدوا كالأسرى (٢) :

وأرى بمرى الشاهجان تنكرت

أرض تنابع ثلجها المذرور

إذ لا ترى ذا برة مشهودة

إلا تخال كأنه مقرر

كلتا يديه لا توأيل ثوبه

كل الشتاء ، كأنه مأسور

(١١) المعاني الإسلامية : كثيرة هى القيم الرفيعة والمعاني

الإسلامية السامية التى جاء بها الدين الحنيف فتأثر بها الشعراء وراحوا  
يصوغونها شعرا ، ولو عرضنا نماذج لسل كل معنى وقيمة ، اطال بنا

(١ ، ٢) المرجع السابق : ص ٣١٥



المقام ، لكن تكفي أمثلة قليلة دالة ، يقول حسان ، في التوحيد  
والجنة (١) :

فأنت إله الخالق ربى وخالق  
بذلك ما سمعت في الناس أشهد  
تعاليت رب الناس عن قول من دعا  
سواك إلهاً أنت أعلى وأجد  
لك الخلق والنعمة والأمر كله  
فإياك نستمدى وإياك نعبد  
لأن ثواب الله كل موحد  
جنان من الفردوس فيها يخلد  
وفي التقوى وبر الوالدين يقول « عبدة بن الطبيب » موصياً  
بذمة (٢) :

أوصيكم بتقى الإله فإنه  
يعطى الرفائب من يشاء ويمنع  
ويبر والدكم وطاعة أمره  
لأن الأبر من البنين الأطوع

---

(١) ديوان حسان : ص ٣٣٨

(٢) الأدب في عصر النبوة : ص ٢٦٥

وفي التوبة والاستغفار يقول المختل السعدى ، وكان في هجائه  
 للبرقان بن بدر قد تعرض لاستغفاره بمليدة كذبا (١) :  
 لقمه ضل حلقى في خليلة ضلة  
 ساء عيب نفسي بعددها وأتوب  
 وأشهد ، والمستغفر الله أنفى  
 كذبت عليها ، والهجاء كذوب  
 الوفاء بالعهد : كعب بن زهير (٢) :

رحلت إلى قومي لأدعو جاههم  
 إلى أمر حزم أحكمته الجوامع  
 ليوفوا بما كانوا عليه تماقدوا  
 بخيف منى ، والله راء ومسامع  
 سأدعوهم جهدى إلى البر والتقى  
 وأمر العلاء ما شايعتنى الأصابع  
 وانظر إلى أى مدى تغافلتم قيم الإسلام ، حتى يتوب السكيت  
 نادما مستغفرا ، يقول أبو عجين الثقفي (٣) :

- 
- (١) المرجع السابق : ص ٣٣٨  
 (٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٣١  
 (٣) المرجع السابق : ص ٢٦٦

أتوب إلى الله الرحيم فإنه  
 غفر الذنب المرم ما لم يعاود  
 ولست إلى الصواب يوما بعائد  
 ولا تابع قول السفينة المعاند  
 وكيف وقد أعطيت ربي موافقا  
 أعود لها ؟ والله ذو العرش شاهد

الفرار بدين الله وإياه الضيم : دعوه الله بن الحارث بن قيس  
 بين عدى ، وكان بين المهاجرين للعبشة في أول الدعوة (١) :  
 يا راكبا بلعن عفى مغفلة  
 من كان يرجو بلاغ الله والدين  
 كل امرئ من عباد الله مضطهد  
 ببطن منك مقهور ومفتون  
 إنا وجدنا بلاد الله واسمة  
 تنجى من الدل والخزاة والهن  
 فلا تقيموا على ذل الحياة وخز  
 ي في الممات وعيب غير مأمون

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٣١

إنا تبعنا رسول الله ، وأطرحوا  
قول النبي وقالوا الموازين

وفي الصبر على المسكاره والتوكل على الله نجد مثالا رائعا في شعر  
عبد الله بن حذاف ، وكان مع طائفة من المجاهدين فحاصروهم المرتدون  
في دجواتي ، وأضرهم الجوع فصبروا واحتسبوا (١) :

أبلغ أبا بكر رسولا  
وفتيان المدينة أجمعينا  
فل لكم إلى قوم كرام  
قعود في دجواتي محضرينا  
كأن دماءهم في كل فج  
شعاع الشمس يغشى الناظرينا  
توكلنا على الرحمن إنا  
وجدنا الصبر المتوكلينا

وفي معنى التوكل أيضا والإيمان بالقدر ، وأن الله هو الرزاق  
نجد من شعر كعب بن زهير (٢) :

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٤٥

(٢) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : ص ٣٧

وأعلم أن متى ما يأتي قدرى  
فليس يحبس شج ولا شفق  
فلا تخاف علينا الفقير وانتظري  
فضل الهدى رب الغنى من عنده نثق  
إن يفن ما عندنا فإله يرزقنا  
ومن سوانا ، ولينا نحن نورزق

قول الحق ، ولو أمام الخليفة صاحب السلطان ، لقد فتح الله على  
المسلمين فاستولوا على أرمينية في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، فأعطى  
الحبس مروان بن الحكم ، وهو في ذلك يخالف نوح الرسول وخليفته :  
أبي بكر وعمر ، ويعلم صوت الشعر منتقدا مدافعا عن الحق ، يقول  
عبد الرحمن بن الحنبل جنود الجحى ، للخليفة (١) :

أحاف بالله رب الأنام  
ما ترك الله شيئا عسى  
ولكن خلقت لنا فتنة  
لكي تبلى بك أو تبطل  
فإن الأمتين قد بينا  
منار طريق عليه الهدى

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٦٥

فما أخذنا درهما غيلة  
ولا جملا درهما في هوى  
وأعطيت مروان خمس البلاد  
فهيئات سميك من سمى

ويغتنال دشمنان ، وتمتد الخلافة دلى ، — كرم الله وجهه —  
لكن للفتنة أطل بوجهها ، مثلة في معارضة قوية ضد على بقيادة أم المؤمنين  
عائشة وطاحنة والزبير ، وموزع ولاء المسلمين بين على وعائشة ، وفزع  
الشعر بما يتوقع من صدام مساح بين الطائفتين ، وما في ذلك من هلاك  
للأمة ودمار للدولة ، يقول دكعب بن جهميل التغلبي ، (١) :

أصبحت الأمة في أمر عجب  
والملك مجموع غدا لمن ظلم  
فقلت قولا صادقا غير كذب  
لأن غدا تملك أعلام العرب

وفي معركة الجمل حيث خرجت أم المؤمنين على رأس الجيش رغم  
أن طاحنة والزبير لم يحضرا أسامهما فانتقد المسلمون ذلك ، وعبر عن  
رأيهم دجارية بن قدامة السعدي ، (٢) :

(١ ، ٢) المرجع السابق ص ٦٦/٦٥

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم  
 هذا - لعمرك - قلة الإنصاف  
 أمرت بحجر ذيوطها في بيتها  
 فهوت تشق البيد بالإيجاف  
 غوضا يقاتل دونها أبناؤها  
 بالنبل والخطى والأسياف  
 هتكت بطلحة والزبير ستورها  
 هذا المخبر عنهما والكافي

ويحمل مقاتل من مفسكر د على ، رضى الله عنه - مصحفا داعيا  
 للسلام ، إلا أن الجند التابعين لعائشة قتلوه فترثيه أمه وهي تدجب لأن  
 أم المؤمنين ترى جماعتها تغفل فلا ترشدها (١) :

لاهم إلا مسلماً دعاهم  
 ينلو كتاب الله لا ينضمهم  
 وأمرهم قائمة ، ترام  
 يأتهمون الغنى ، لا تنهمهم  
 قد شغبت من علق لحامهم

ولا تمنع المنزلة الرفيعة لأم المؤمنين شاعراً مسلماً من تنبيهها إلى

---

(١) المرجع السابق ص ١٨

ما في الحرب من مخاطر على المسلمين فيخاطبها في إجلال (١) :

يا أمنا ، يا خير أم نعلم  
أما ترين كم شجاع يكلم  
وتحتل هامته والمعصم

وبعد مشاهد أليمة تلتقي مرقعة الجمل ، لنبدأ وقائع فتنة أخرى  
أقسى وأشد هولاً ، إنها حروب « على » ، رضى الله عنه لجند « معاوية »  
الذي نازعه الخلافة ، ويتفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً ، ويلجأ  
« معاوية » إلى الإغراء ، لأنه يطلب من « أيمن بن خريم » قتال « على »  
مقابل منحه فلسطين ، فيكتب إليه (٢) :

ولست مقاتلاً رجلاً يصلى

على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وعلى لى

مماذ الله من سفه وطيش

أقتل مسلماً في غير جرم

فليس بخافى ما عشت عيشى

---

(١) المرجع السابق ص ٦٨

(٢) المرجع السابق ص ٧٠



(١٢) الغزل : آثرت ألا أنبى هذا العرض لنأذج من الشعر

الإسلامى دون الإشارة لبعض أمثلة من شعر الغزل الذى نظم فى الإسلام — فى عهد النبوة والرشد — وقد لا تعد هذه النماذج غزلاً بالمعنى المفهوم، إذ هى مطالع لفصائد صيغت فى أغراض أخرى، وهى بهذا الشكل مجرد متابعة لتقاليد شعرية جاهلية، كانت ترى من تمام الجودة والسكال فى القصيدة أن تبدأ بالغزل أو الأطلال، ثم إن هذه النماذج الغزالية لم تخرج فى ألفاظها ومعانيها وصورها عما تعودت الشعراء فى الجاهلية، ذلك لقرب ناظميها من العهد الجاهلى زمنياً، ولأن الغزل عرض جاهلى قديم ولم يطرأ بعد — من قيم وتقاليد الشعر الإسلامى — ما يخلع عليه سمات جديدة أو يكسبه طابعاً خاصاً، فذلك سوف يحدث بعد سنوات قلائل، فى عصر بنى أمية.

إنما قصدت من تقديم هذه النماذج أن أثبت أن الإسلام ورسوله لم يكن يمنع القول فى الغزل أو يرفض إنشاده وسماعه وروايته، ما دام فى حدود العفة، لا يحوى شراً، أو يمتك حرمات، أو يحوى إلى عرض، أو يتخدش حياء، يقول شاعر النبط — سديان بن ثابت — فى مطلع قصيدته الحمزية التى نظمها قبيل فتح مكة ورد فيها على أبي سفيان بهجوه وبتوعده، يقول متغزلاً (١) :

هفت ذات الأصابع فالجواه

إلى عذراء منزلها خلاء

(١) الديوان : ص ٧١

ديار من بني الحساس قفره  
 تعفينا الرواس والسماء  
 وكانت لا يزال بها أنيس  
 خلال مروجها ، نعم وشاء  
 فدرع هذا ، ولكن ما لطيف  
 يورقني إذا ذهب المشاء  
 لشماء التي قد تيمته  
 فليس لقلبه مديها شفاء  
 كأن ضيئة من بيت رأس  
 يكون مزاجها عسل وماء  
 على أنيابها ، أو طعم غض  
 من الفواح حصره لجناء  
 ولحسان أيضا في يوم أحدهم جو ابن الزبيري (١) :  
 منع النوم بالمشاء هموم  
 ونحيال إذا تغور النجوم  
 من حبيب أصاب قلبك منه  
 سقم ، فهو داخل مكتوم

(٢، ١) الديوان : ص ٢٠٦/٨١

يا لقوم هل يقتل المرء مثلى  
واهن البطش والعظام مشوم  
شأنها العطر والفراش ويعلوها  
لجـين ولؤلؤ منظوم  
لو يدب الحول من ولد الذر  
عليها ، أُنذبتها السكوم  
● ولحسان كذلك من قصيدة في الغنم (١) :  
زادت همومي فاء العين ينحدر  
سحبا إذا غرقته حبرة درر  
وجداً بشعواء ، إذ شعواء بهكنة  
حوراء لا دنس فيها ولا خور  
دع عنك شعواء إذ كانت مودتها  
نزرا ، وشر وصاله الواصل النزر  
ويطاول بنا الأصر لوقت صينا كل المطالع الغزلية عند حسان ،  
فلينقل لمثال آخر هذه كمب بن زهير (٢) :

- 
- (١) الديوان : ص ٢٠٦/٨١  
(٢) دراسات في أدب وتصوص العصر الإسلامي : ص ٨٨

بانك سعاد فقابى اليوم مقبول  
 متمم إثرها لم يحز مقبول  
 وما سعاد غداة الهين إذ رحلوا  
 إلا أفس غصيص الطرف مكحول  
 هيفاء مقبلة ، صجواء مدبرة  
 لا يشتكى قصر منها ولا طول  
 تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت  
 كأنه مفهل بالراح معلول  
 شجعت بنى شيم من ماء عينية  
 صافى بأبطح أضفى وهو مشمول  
 يا ويحها خلة لو أنها صدقت  
 موعودها، أو لو أن النصيح مقبول  
 فما تدوم على حال تكون بها  
 كما تلون في أمواجها الغول  
 وما تمسك بالوصل الذى زعمت  
 إلا كما تمسك الماء الغرايل  
 فلا يفرايك ما منت وما وعدت  
 إن الأمانى والأحلام تضليل

ونعتم هذه الأشعار الغزلية بقول عبدة بن الطبيب (١) :

هل حبل خولة بعد الحجر موصول

أم أنت عنم — إبيد الدار مشغول

حاص خويلة في دار مجاورة

أهل المدائن ، فيها الديك والفيل

فخامر القلب من ترجيع ذكرتها

رس لطيف ورهن منك مكبول

والأحبة أيام تذكرها

وللنوى — قبل يرم البين — تأويل

❖ ❖ ❖

بقى أن نرصد حول الشعر الإسلامي عددا من الملاحظات .

---

(١) في الشعر الإسلامي والأدوى ص ٥١

سادسا : ملاحظات نقدية فنية حول الشعر الإسلامي

ليس من المنطقي أن نتوقع انقلابا كاملا ، وتغييرا جذريا في الشعر العربي عشية ظهور الإسلام ، وإنما هو تطور محدود النطاق في البداية (١)

ذلك لأن التقاليد الفنية ، والقيم الشعرية ، تسكتسب عبر أجيال وأجيال ، وهي تتأثر ببطء ، وتغير في تدرج ، ومهل . فلا غرابة إذن أن نجد استمرار بعض الطوابع والسمات الجاهلية في الشعر الإسلامي ، خاصة وأن اللغة بقيت كما هي في جوهرها رغم بعض التطور ، وكذا بقي النسق الموسيقي من عروض وقافية على حاله ، وإلى هذا وذلك فإن البديهة الجغرافية ظلت كما هي عند السكينة من الشعراء الذين أقاموا في الجزيرة ولم يرافقوا الجيوش .

إن التغيير الديني والأخلاقي والاجتماعي حق لا مرأى فيه غير أن تأثيره على فن الشعر يتم بأناة وريث ، وتظهر نتائجه على مدى زمني طويل ، والصورة العامة للشعر في صدر الإسلام تقوم على حقيقة حضارية معروفة ، هي أن هناك بالضرورة تماخلا بين فترات التاريخ

---

(١) رصدت هذه الملاحظات على الشعر الإسلامي فقط ، فهي لا تتناول شعر المشركون في مكة كما لا تتعرض لشعر البادية الذي بقي على حالة الجاهلية ، ولم يتأثر بالإسلام بعد في عهد النبوة والراشدين .

الحلامة ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك خط فاصل بين فترة والنبي  
تقليها ، وبخاصة حين يتصل الأمر بمقومات نفسية بمهدة الغور  
في نفوس أصحابها ، أو بقيم فنية أصبحت تقاليد موروثة لا يمكن  
التخلص منها فجأة ، أو الاهتداء إلى غيرها من قيم جديدة ، (١) :

إن التغيير المادي في مظاهر الحياة اليومية ، من سلوك وملبس  
وما كل ومشرب ، كل ذلك يتسم بيسر وسهولة ، ولا يجد مقاومة تذكر ،  
بل ربما وجد الترحيب والتشجيع ولـكن الأمر يختلف في مجال الفن  
والادب ، لأنه يتصل بروح الأمة وهويتها ، مثل العقيدة تماماً -  
فليس ميسورا أن يتخلى الشاعر عن أسلوبه الفنى ، ويتخذ آخر ، ولا  
ينتقل من قالب موسيقى إلى سواه ، ولكنه يمزج بين هذا وذاك ،  
ويجمع بعض الجديد إلى شيء من القديم .

وإذا كان الشعر الجاهلى يسائه الخاصة وأغراضه النافذة قد توارى  
بعض الشيء ، وخفت صورته قليلا ، فلمسكى بفسح المجال لشعر إسلامى  
أكثر حيوية وملامة لما حدث من تغيير هائل في حياة العرب .

ونحن نلاحظ التجديد في الشعر الإسلامى واضحا بديناً من خلال  
المعاني والأفكار ، لأنها استمدت من النيم والمثل النبى يؤمن بها الناس ،  
وهى قد تغيرت تغيرا جذريا بعد الإسلام ، ولذا نرى الشعراء المسلمين  
يرددون معاني وأفكارا تختلف وتختلف عما كان يتناوله الشعراء

(١) في الشعر الإسلامى والاموى : ص ٦٧



في الجاهلية ، حسب الأعراس والموضوعات .

وكذلك تبيين الحداثة والجدّة فيما طرقه الشعراء بعد الإسلام من مجالات وآفاق لم تكن معروفة قط أيام الجاهلية ، وهو ما يسمى بالأعراس الجديدة ، وحتى القديم الذي ظل مستمرا طبعه الإسلام بطابعه ، فأكسبه رونقا وبهاء .

وتعرضت لغة الشعر في العهد الإسلامي - متأثرة بالقرآن والحديث - لتطور ملحوظ ، وهو ما لفت نظر النقاد والدارسين المتشبهين بالشعر الجاهلي والمعجبين به ، فعدوا ذلك التطور ضمعا . أما في البناء الفني ، أو نسق القصيدة فقد أضاف له شعراء الإسلام لمسات قليلة ، في حين بقي الإطار الموسيقي على ما كان عليه من وزن وقافية .

ولنستعرض الآن مظاهر التجديد في كل مجال على حدة :

أولا : المعاني والأفكار : لا ريب أن الشعر الإسلامي قد

جمع بين بعض المعاني الجاهلية ، لا يتعارض وقيم الإسلام ومبادئه ، وبين معاني إسلامية مستحدثة . وإذا كان بعض الدارسين يرى أن الشعراء المسلمين لم يؤفّقوا تماما في تمثيل قيم الإسلام ومعانيه ، ولم ينجحوا نجاحا كاملا في استيعاب الدين الجديد ، والنهل من ينابيعه الثرة ، وأرجع ذلك إلى توزيعهم بين عامل الموروث الذي ألفوه وعاشوه طويلا أيام الجاهلية ، فكون نسوج عقرطهم ، وانترج بينهم ، وظل يشدهم للتعبير عنه وتمثله ، وفي المقابل تجددهم حاجات جديدة

أوجدوها الدين الحنيف، وأملتها ضرورة الحياة الإسلامية، وتداخلت  
في الأخرى في أفكارهم ومواقفهم ونسج عقولهم ، وسفرتهم إلى  
تصويرها والتعبير عنها . فهذا التوزيع بين العاملين المتقابلين استنفد  
طاقاتهم الفنية ، وقال من نجاحهم .

ويمكن أن نضيف أسبابا أخرى، مثل عامل الزمن؛ فالقيم والمعاني  
الجديدة تتطلب وقتا طويلا حتى تختمر في الأذهان وتتشربها العقول، ثم  
عنها الشعر . وكذلك وجود الشعراء المسلمين في بيئة جاهلية - لا تزال -  
وأكثر الجمهور المتلقى من الجاهليين فكريا وروحيا وثقافة ، وهم  
لا يستطيعون الانفصال عن جمهورهم ومستمعهم .

ولا شك أن صدورهم في كثير من الأشعار عن حافز الرد على  
المشركين ونقض قصائدهم ، جعلهم يتابعون نفس التقاليد الفنية،  
ولو خالفوا تلك التقاليد لأخفقوا في الرد عليهم ولفاجأهم . يؤكد  
ذلك أن الأشعار التي خرجت عن ذلك النطاق ولم يقصد بها هجاء  
المشركين أو مناقضتهم ظهرت فيها المعاني الإسلامية واضحة ، كرائي  
الشهداء ووصف البلاد الجديدة ، ومعارك الفتوح ، والحنين والغربة ،  
وما تناول خلقا أو مبدأ إسلاميا .

ورغم كل ما سبق ، فإن كثيرا من الأفكار والمعاني الجديدة عرفت  
طريقها إلى الشعر الإسلامي ، وخاصة في الأغراض المبتكرة ، وبعضه  
ظهور في موضوعات قديمة أيضا .

ثانياً الأغراض والموضوعات : كان الشعر الجاهلي يمس حياة  
عرب الجزيرة في انحصارها ومحدوديتها ، فهو يفتل في ميادين  
ثابتة لا تتغير :

(١) مدح الملوك والوجهاء الأثرياء ، يشوبه الاستزاد ويمجج  
إلى المبالغة ، ويصدر — إلا في القادر — عن ملق ورياء .

(٢) فخر بالنفس والقبيلة ، يدور حول محاور معدودة من النسب  
والحسب ، والشجاعة المنهورة أحياناً ، والكرم الذي يبالغ حد الإسراف  
والسفه أحياناً .

(٣) رثاء يفترق من معين المدح غالباً ، ويغلفه إحساس حاد  
بالضياع والفناء بسبب الفراغ الدقيق الرهيب .

(٤) هجاء لا يتورع عن الفحش والإفداع ، مألوف للمعاصرين  
والمفاخر ، مضطرباً على الخصم مثالب ونقائص بالكذب والإدعاء ،  
والمبالغة في الذم .

(٥) غزل قد يغالطه بكاء الأطلال ، ويقصر على الوصف  
الظاهري لمحاسن المرأة الجسمية غالباً ، أو المغامرات التي تغدس الحياة ،  
وتمس العرض والخلق .

(٦) وصف الطبيعة حية وصامتة ، وهي في البيئة الصحراوية فقيرة  
قليلة التنوع محدودة الآفاق .

وأخيراً أبيات المحكمة التي قد تأتى ختاماً للقصيد ، وقد لا ينطرق  
إليها الشاعر .

ثم يشرق الإسلام بنوره ، وتغير حياة العرب من وثنية مشرقة  
إلى مؤمنة موحدة . ومن قبلية ضيقة إلى إنسانية رحبة عريضة . ومن  
مادية مدنية إلى روحية سامية رفيعة .

وتغير الشعر كما تغيرت الحياة ، وتوسع آفاقه ، وتعدد  
المبادئ ، وتظهر أغراض جديدة ، وموضوعات لم تكن من قبل  
معروفة ولا مطروقة ، بل وتكتسب الأغراض القديمة روحاً جديداً  
وجاهاً متألفاً .

ويمكن أن نلمح إلى عدد محدود من الأغراض قد ترك تماماً مع  
إشراق الهدى المحمدي ، وحتى العصر الأموي ، وذلك لعارضها مع  
قيم الإسلام وأخلاقياته .

من تلك الأغراض ذكر الخمر ، وصفها ، والتغنى بها ، والشوق  
إليها ، وبيان أثرها في النفوس ، وتصوير بجالسها وشاربها ، وصفاتها  
وصنعها وبائعيها ، وكل ما يتصل بها .

ومنها شعر الجون : سواء ما يتعلق بالغزل الفاحش ، واللهو  
العابث ، والمفاخرات المستهترة ، أو مجالس الغناء والقيان والطرب .  
ويدخل في هذا النطاق الشعر الذي يتحدث عن الميسر ولاعبيه  
ومجالسه ورهاناته .

ثم تأتي المنافرات أو الهجاء القاسم على ما يحط من الشرف ،  
ويخذل الحياء ، ويمزق الأوصار ويورث البغضاء والنفارات ،  
ولو تأملنا في محكمة تحريم تلك الأغراض بعد الإسلام لوجدنا أنها  
ليست منافاتها للقيم الدينية فقط ، وإنما لما تسببه وتؤدي إليه من  
تخريب للنفوس ، وإذهاب للعقول ، كما أنها مضيمة للصحة والمال  
وهدم للفرد والجماعة ، وهي على الجملة إهانة للإنسان الذي كرمه الله  
على سائر خلقه حتى الملائكة ، مما يناقض الدعوة الإسلامية لقوة الفرد  
والجماعة ، قوة مادية ومعنوية ، وكذا الدعوة للتمسك والتمسك  
والاخوة .

ونستعرض الأغراض التي ظلت من الجاهلية ، فنظم فيها المسلمون  
مع إضفاء الصبغة الإسلامية عليها ، وتصفيتهما عما يتعارض وتلك الصبغة  
من أفكار أو ألفاظ :

المدح : كان المدح في الجاهلية تقرباً للممدوح طلباً لنفعه واتقاء  
ضرره ، وكان وسيلة للتكسب عن طريق المطايا والهبات التي يمنحها  
الممدوح مكافأة للشاعر .

وفي النادر القليل يصدر المدح عن عاطفة صادقة وإعجاب حقيقي ،  
ولكنه غالباً يأتي مرأاة ونفاقاً .

فلما جاء الإسلام قل شعر المدح إلى حد كبير ، وربما صار قاصراً  
على مدح الرسول ﷺ وإشارات قليلة للخلفاء الراشدين ، وكلاماً

ينبع من حب صادق ، وإعجاب منبه عميق ، بما في شخصية النبي من سمو وترفع ، وما لدى الخلفاء من تقى وورع وطاعة ، وتحرر دقيق للحق والعدل ، وبعد أن كان الخافز في المديح هو التقرب للملك أو للرجية الأثرى ، صار قربى إلى الله وطاعة له ، فالرسول وخلفاؤه يمثلون رموزا للإسلام وتبسيدها لمبادئه وتطبيقها لأوامره ، ولذا فإن مدحهم ليس مدحا لذات الشخص - وإن كان خليفته - وليكنه في المقام الأول مدح للمعاني والمبادئ التي يمثلها ، ثم تفرع عن المديح الفردية مدح للجماعة الإسلامية ، وتمجيد للدعوة الجديدة ، ويرمز للجماعة الإسلامية بالمهاجرين تارة وبالأنصار أخرى ، وبهما معا أحيانا .

وهذا المدح الجماعي يبرأ من الجمالة ، ويمتد عن المبالغة ، وهو يهدف بالدرجة الأولى إلى إلهاء شأن الدين ورفع لوائه ، والإشادة بالمسلمين الأوائل ، الذين حملوا عبء الجهاد في الأيام السعيدة من بداية الدعوة ، حين كان الأعداء كثير ، والقوة محدودة ، والنصر عزيز المنال .

ويمكن أن نجمل خصائص المدح أيام النبوة والراشدين في :  
 (١) صدوره عن عاطفة قوية وإعجاب صادق بالرسول وأصحابه وخلفائه ، وبالجماعة الإسلامية من مهاجرين وأنصار ، فلا اتفاق أو رياء ، ولا ملق أو تقرب ، ولا شبهة للكسب والمنفعة .  
 (٢) صفات المدح ، أو مواضع المدح ، تجمع بين قليل مما عُرف في الجمالية كالشجاعة والكرم والمروءة والفجدة ، ثم تضيف

إليها مناقب وصفات إسلامية معسرة ، كالجهاد في سبيل الله ، والنظالم للشهادة ، ونشر الدين وإعلاء كلمة التوحيد ، وكذلك نبل الأخلاق ، وطاعة الله ورسوله ، والمحرص على الجماعة الإسلامية والسعي لخيرها ، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، والبعد عن نواهيها وما يفضيها .

(٣) ذكر الحقائق والوقائع دون مبالغة أو تهويل : لقد كان سجل البطولة الإسلامية ، ومناخس المسلمين حافلاً بآخر ، وما فيه من حقائق يفوق تصور الخيال ، وروعة المبالغة .

(٤) استخدام لغة سهلة تتضمن مفردات وعبارات دينية إسلامية ، وتنبأى عن الكلمات والعبارات الجاهلية .

الهجاء : اتسم الهجاء في الجاهلية بالاعتداء على الأعراض والمحرمات ، وسلب الشرف ، والعييب في الأنساب والأحساب ، وكذلك الذم باللفظ الجارح ، والمعنى القمارص ، فكان الناس يضطرون إلى شراء السنة الهجائية ، وتجنب إثارتهم ، كما كان يحدث مع الخليفة . وأحياناً يضطر المرء إلى استهجار شاعر للرد على من يهجوّه .

ثم بحث الرسول عليه السلام بتمائم الدين السمحة وخلقه الرفيع ، فحذر من التناذب باللقاب ، ومن القبيحة والذميمة ، ومن التباغض والتخاضع ، ودعا إلى الأخوة والمحبة والتسامح ، وطالب المجتمع المسلم بأن يكون جسداً واحداً مقرباً ، ويسكن أفرادُه أعناقاً في الجسد ،

يؤلم الجميع ما يحيق بالواحد ، وحينئذ كف لشعراء المسلمون عن الهجاء  
تأديبا بأدب الإسلام ، إلا أن شعراء الشرك فتحوا نيران أسلحتهم على  
النبي الكريم وعلى المسلمين - مهاجرين وأنصارا - فأذن الرسول -  
ﷺ - للشعراء الانصار برد الأذى ، والدفاع عن النفس والدين ،  
فالهجاء من المسلمين كان اضطرابا وحالة من حالات الدفاع .

فلما فتحت مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، توقفت  
المعارك الكلامية بين المشركين والمسلمين ، واختفى الهجاء تقريبا  
بقية عهد النبوة والراشدين ، وكان الخلفاء رضوان الله عليهم يعطون  
للشاعر الهجاء ما يكف أسائه عن إيذاء المسلمين ، ويعاقبون من  
يستمر في الهجاء ، فلما جاء بنو أمية تغير الحال .

ولستطيع تلخيص سمات فن الهجاء الذي مارسه المسلمون فيما يلي :  
(١) لجأ إليه شعراء الإسلام دفاعا عن النفس والدين ، بعد أن  
تجاوز المشركون فيه الحدود ، وصار الصمت ضعفا .

(٢) ابتعد عن الفحش والإقذاع ما أمكنه ، وركز على جرح  
المشركين حق الله وقدره ، وكفرهم به ، وتسكينهم نبيه .

(٣) كان حسان يستغل ما في أنساب المشركين من هنات ، وقد  
استخدم في أحيان قليلة ما يحيط بالذم ويخرج عن قيم الإسلام ،  
وعذره في ذلك حاجته إلى إضعاف الكفار ، ورد سهامهم  
وإخراص أسلحتهم .



- (٤) كان فيه هجاء الاشخاص الفردى ، وهجاء القبائل الجماعى ، وهو فى كلا الحالين رد على هجاء سابق للمشاركين .
- (٥) لم تخصص للهجاء قصائد مفردة ، ولكنه يأتى مختلطاً بأفراض أخرى كالغنى ووصف المكارم ، أو الحرب النفسية .
- (٦) وهو مثل بقية فنون الشعر الإسلامى تكثرت فيه كلمات إسلامية ومعان دينية بالنسب المختلفة .

الفخر: كان الشاعر الجاهلى بطبيعته يباهى بقبيلته معتدا بنفسه وجنسه يكثر من الفخر فى قصائد خاصة بغرض الفخر ، وفى أبيات عبر قصائد نظمت لأغراض أخرى ، كان يزهو ويباهى بما لديه مما يستحق الفخر والمباهاة ، وقد يحتل ويتخيل ما يفخر به ، أو يفخر بما سوف يفعله وما سيكون عليه ، يفخر بشخصه وجماعته القروية وقبيلته وعشيرته ، ثم يتحدى ويفخر بأصله العربى . وكان مناط الفخر أولاً هو الشجاعة التى فصل إلى الشهور ، والقوة التى تدفع للعدوان ، والجهل الذى يجر إلى الظلم ، ثم الأخذ بالنار ، وعدم الصبر على الضيم والذل .

وكذلك الفخر بالحسب والنسب ، وكرم الخند ، ونقاء الأصل والعصبية القبلية . وتأتى المواقع والأيام التى شهدتها أو شهدتها قبيلته وحققت فيها انتصارات ، ثم يباهى بقيم أخلاقية وصفات حميدة ، كالبرورة والنجدة وإغاثة الملهوف ، والعفة وإكرام الضيف ، والترف عن الصغائر ، ولا يذم أن يفخر بملوه وعيشته من مناسرات عاطفية

وتشذيب بالنساء ، وشرب للخمر وبجائز الغنائم والمجروف  
والخروج للصيد .

ومن مكة - الأرض الحرام - يشرق فجر جديد للعالم أجمع ،  
ويسكون العربي هو المثل والقدوة ، وهو المبلغ والمدعى ، ولا يقف  
الدين الحنيف من نزعة الفخر العربية الإنسانية موقف التعنت والرفض  
المتهصب ، ولكنه كعادته يتخذ منها موقف التوجيه والتهديب ،  
فيفخرون بأجداد أسى وأعد كالنساب إلى الإيمان بدين الله ومفارقة الشرك  
وكذلك المبادرة بالمهجرة طاعة لله ورسوله ، أو نصره الدين والجهاد  
في سبيل الله . وأصبح البلاء من أجل العقيدة وطلب الشهادة مناط  
فخرهم الأول ، ثم يأتي الزهو بنصر الله وتأيد الملائكة .

وفي المجال الأخلاقي تكون التقوى ، وطاعة الله والرسول ، ثم  
اجتناب المحرمات والبعد عما يستكره .

وأخيرا ما رضى عنه الإسلام وأبقاه من طباع الجاهليين  
وأخلاقهم ، كالكرم وقرى الضيف ، والنجدة وإغاثة المستجير ، والحنف  
عما لا يملك ، والشجاعة في الميدان .

واستعاض عن الفخر بالأصل والحسب فخرا بالانتماء إلى الإسلام  
الحنيف ، وعن القبيلة والجنس اهتزازا بالقبى وجماعة المسلمين  
والهداية للمجاهدين .

وبذا يمكن استخلاص سمات الفخر الإسلامى فيما يلى :

(١) التقليل ما أمكن من الفخر والمباهاة لأن الإسلام يدعو إلى

التواضع ، ويرى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وأن خيلاء الفرد وكبره مصيبة ومكروه .

(٢) ما بقي من فخر طبعه الإعلام بطابعه ، فصار مطاطه ما يتصل بالدين من الإيمان واليقوى ، والقتال سعى النصر أو العهدة في سبيل الله ، وما يتصل بجماعة المسلمين من طاعة الرسول والتأخي والسعي لخير الجماعة ، وأخير ما يتعلق بالخلق الرفيع سواء ما كان جاهليا أقره الإسلام أو ما بعد مع الدين التوسيم .

(٣) انتفى من النخر كل ما يتعلق بالحسب والنسب ، وما يثير العصبية القبلية ، وحل محله شرف الانتماء للدين وجماعة المسلمين .

(٤) الفخر بالنفس وبالجماعة يمكن في إطار إسلامي لا يهدد تماسك المسلمين ، ولا يسمى الضغائن ، كما فعل وحسان ، في زهوه بالانصار لما قدموه من نصرة الرسول ، واستضافة المهاجرين ، والدفاع عن الإسلام ، وكذا ما كان من فخر نافع بن قتيبة ، بقومه بني تميم لمساعدتهم إلى الدخول في طاعة الرسول والهجرة ومناصرة الإسلام بما يعزز ماضيهم الجليل في الجاهلية .

(٥) تنفليس فخر الشعراء المسلمين من المبالغة وتجاوز الحد مكنفيا بذكر الحقائق ، والتعجب عن الوقائع .

(٦) استخدام لغة سلسلة تتضمن ألفاظا وجملا ذات صبغة إسلامية ، وتبعد عن التّعسر والغرابة .

الرثاء : مريد الرثاء من أقدم فنون الشعر العربي ، وهو يقترب من المدح في كونه يمدح صفات الأعظماء والبطلان والسكان في المراثى - كما في الممدوح - ثم يضيف الجورح الشديد لموته ، والمخماره الشخصية أو القبلية أو العامة الناجمة عن فقدده .

ولأن العرب في الجاهلية كانوا غير موحدين ، ولا يؤمن أغلبهم بالبعث والحساب ، لذا كان رثاؤهم يتسم دائما بالنعجية والحسرة الشديدة لتفقد الميت ، ولا يحوى أية إشارة إلى مصيره الآخرى . وإذا كان قتيلا في حرب ، احتلت الدعوة للتأثر مكانها ، وكثر الحديث عن روحه القلقة الهائمة حتى يثاروا له .

ثم سرت الروح الإسلامية في فن الرثاء ، إبان بعثة الرسول عليه صلوات ربه وسلامه ، وانفجار الصراع بين الإسلام والشرك ، وتبايعت الغزوات في عهد النبي إلى أن فتحت مكة ، وبدأت الفتوح ونشر الدين في آفاق الأرض ، وهنا يتسم الرثاء على يد الشعراء المسلمين ببيان رسالة الشهيد في حومة الوفاء ، وعرضه على إعلاء كلمة الله ، وإصراره على النصر أو الاستشهاد ، ثم ينتقل الشاعر في رثائه إلى بيان ما أعد للشهداء لدى الله من نعيم الخلد ، وعلاو المنزلة وكونهم أحياء عند ربهم يرزقون . وأن كان المشركون يفتقدون سحر الغاية من القتال ، ويشفرون بعقلية الموت في الممركة ، اللهم إلا ما تراضوا عليه من الحرص على النجات والشجاعة - إذا كانوا هم كذلك - فإن المسلمين قد توافر لهم نبل المقصد وشرف الغاية ، وأبى هدف أسهى من الجهاد في سبيل الله ، والدعوة لدينه والاستشهاد دفاعا عنه ؟

لذلك ظهرت في الرثاء سمات العبر والاحتساب ، والرضى  
بفضاء الله ، والامتثال لحكمه ، والاستبشار بجمته وموابه ، وما وعد  
به الشهداء والمنقون ، فخنفت هذا من الجزع الشديد ، والاسى الفاجع  
على الفقد ، وحل العبر على البلاء واحساب الاجر عند الله محل  
الايأس والسكود . وحقق في ظروف الموت المادى أصبح الرثاء مختلفاً  
كذلك لأن الميت مسلم مؤمن ، أطاع الله ورسوله ، وأدى فرائض  
دينه ، وعمل بأوامر ربه واجتنب محارمه ، فتشواه الجنة ، ومن هذا  
أحست الخنساء بالحنن مضاعفاً على أخيها صخر بعد أن هداهما الله  
إلى الإسلام : وكنت أبكى صخر من القتل ، فأنا أبكى له اليوم من النار .

وكل هذا الجنيد أضيف إلى ما أقره الإسلام في الرثاء الجاهلى من  
بيان عظيمة الميت أو الشهيده ، ومكانته بين قومه وصفاته الاخلاقية  
المنبذة .

وبخلاصة ما يقال عن الرثاء الإسلامى :

(١) احتفظ ببعض السمات الجاهلية مثل : بيان العظمة الإنسانية  
والخلقية والمكانة الاجتماعية للفقيد ، وكذلك الحزن لفقده .

(٢) استبدال الجزع المهلك ، والاسى الفاجع ، العبر والاحتساب  
والامتثال لفضاء الله .

(٣) فى حالة الاستشهاد يصبح الفرح بالجنة ورفعة المنزلة عند الله  
هو الطابع الغالب على الرثاء .

(٤) يضاف إلى ذلك ذكر ما أبداه الشهيد من بلاء في سبيل الله ودفاع عن الدين وزود للشركين .

(٥) وإذا لم يكن الفقيد من الشهداء فهو مسلم عاش حياته معلماً لمحبته محباً لنبيه - عليه السلام - حاملاً بكل ما أمر به ، مبتعداً عن كل ما نهى عنه ، ولذلك فإن الجنة مقره إن شاء الله .

(٦) حملت كلمات الصبر والرحمة والأجر والاحتساب ، ثم الشهادة والجنة والجهاد في سبيل الله ونصرة الدين ، بدلاً من الفاظ الهلاك والقتل والجزع والفقد والشار وشفاء الغليل .

شعر الحماسة : مرت بنا أثناء استعراض نماذج من الشعر الإسلامي .

ثلاثة أغراض هي : وصف المعارك ، والحرب الففسية ، ثم الإقدام على الجهاد والفرح بالشهادة ، وهي جميعاً تنضوي تحت ما عرف في الجاهلية بشعر الحماسة مع الاحتفاظ في ذهنه بالفارق بين مفاهيم الجاهلية والإسلام ، وشعر الحماسة مصطلح قديم يطلق على كل ما يتصل بالقتال سواء فيه وصف الاستعداد السابق للحرب ، من خيل وأسلحة وجند ، أو وصف مساحة الجرب وشجاعة الفرسان ، أو التخويل عن المقاتلين بتخويف العدو من قوتهم وجسارتهم . وكل هذه المجالات ظلت مطروقة بكثرة من الشعراء المسلمين ، بعد أن سئلوا عليها من سمات الدين وروحه ما أعادها خلقاً جديداً مثل :

(١) في بيان الأسلحة والمعدات ذكر الشعراء الإسلاميون



بالحق والباطل ، وظهرت مفردات وشعارات إسلامية جديدة كالجماد ،  
والشباب والشهادة والجنة ، وأصرة الدين والرسول وسلاح الإيمان  
والثقوى ، وظهر الحق ودحر الباطل ، والانتساب للإسلام وليس  
للجنس أو القبيلة ، والقتال لتحقيق غاية سامية وليس ثأراً  
أو مجداً شخصياً .

القول والنسيب : يرى عدد كبير من المدارس أن القول كان من  
الأغراض التي مجرها الشعراء الإسلاميون ، انتهى است مع هذا  
الرأى ، حتى لو حددنا فترة الترك بمصر النبوة والراشدين ، ذلك  
لأننا نلتقى بما ذج عديدة للقول إبان تلك الفترة ، وخاصة مطالع  
الفصائد في أغراض مختلفة ، وكذلك ذكر الدكتور عبد القادر التاط  
قصيدة مشقة في الأمالى ، للشاعر : د هضر بن قرق ، وأبيات  
د لعبد الله بن عاتمة ، ، ثم مقطورة « لعبد بنى الحساس » ، وكلمها  
شعر غزلى رفيق . والأقرب للدقة أن نقول : إن القول كخرض قائم  
برأسه ، تخصص له فصائد كثيرة كاملة ، ترك لعنونات في أول العهد  
الإسلامى لكنه ليس الترك العامد ، باعتباره محرماً أو عفاوراً وإنما هو  
الإصمال والتراخى بسبب الانشغال بأور أخرى ، فلم يؤثر عن  
النبي عليه السلام أو خلفائه رضى الله عنهم ، طيفيد الخطر أو التحريم  
أوحى الكراهة ، لقد سمح الرسول قصيدة كعب بن زهير « بانس سعاد »  
وفيها مقدمة غزالية طويلة ، فلم ينكر عليه ، وسمح لحنان بن ثابت



قصائد عديدة تبدأ بالغزل ، ولم يرو عنه إنكار أو إعراض ، وقال  
الجباج : دخلت المدينة ، فقصدت إلى مسجد النبي ﷺ ، فإذا بأبي  
هريرة قد أكب الناس عليه يسألونه ، فقلت هكذا : أفرجوا لي عن  
وجهه ، فأفرج لي عنه ، فقلت له إنما أقول هكذا :

طاف الخيالان فهاجا سقما

خيال أدوى ، وخيال تسكتما

تريك وجهاً ضاحكاً ومعضماً

وساعداً عجلاً وكفا أبرماً

فأقول فيه ؟ . قال : قد كان رسول الله ﷺ يشد مثل هذا  
في المسجد فلا ينسكركه ،<sup>(١)</sup>

فالغزل على إطلاقه - ومنه مطالع القصائد - موجود في العصر  
الاسلامي خلال البعثة النبوية وعهد الراشدين ، وسوف يتسع ، وتكثر  
نماذجها وتستهلك به قصائد عديدة ، بل ويصيح بأباً ضحكاً من أبواب  
الشعر الأدوى ، ويتفرع لأنواع مختلفة بين عذري عفيف ، وحسي  
جري ، ويضرب له شعراء يهملون جملة مثل عمر بن أبي ربيعة ،  
وذو الرمة وابن قيس الرقيات .

ونجمل سمات الغزل عبر عهد النبوة والراشدين في :

---

(١) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٠٥

(١) نماذج الغزل في العهد النبوي وفي حكم الراشدين تتمثل في قصائد ومقطوعات قليلة ، وفي مهالغ كثير من القصائد لأغراض مختلفة .

(٢) لم يعترض الإسلام على الغزل ولم يحرمه ، ولم يشكره الرسول ﷺ ، ولكن الشعراء المسلمين شغلوا عنه لأنه مرتبط بالفراغ والدعة ، وهم كانوا مشغولين بما هو أهم من نشر الدعوة في آفاق الأرض والجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين .

(٣) يفهم ضمنا أن الإسلام بما يشه في النفوس من قيم أخلاقية سامية ، وحماية للحرمان وحفاظ على الشرف ، وبما أسبغته على المرأة من تكريم وإجلال ، وبما أشاعه من العفة والحياء ، لعل ذلك فقد كثره الغزل المتعبد ، والتسبيح الحسى المستتر ، وما كان شاعرا للحياء أو معتديا على الأعراس والحرمان ، ولسكنه رضى عن الغزل الرقيق العفيف ، الذى يعبر عن احترام للمرأة وحفاظ عليها وإشرازها . ولستطيع أن نجد من أمثال هذا الشعر كثيرا من المقطوعات في كتب المختارات والتراجم ، أغلبها لشعراء مقلين ، كانوا يقولون الشعر في وقته انفعال خاص ، استجابة للحشمت معين في حياتهم ، على أن من بين الشعراء المعروفين أيضا من نجد لهم أمثال تلك المقطوعات البالغة الرقة في أسلوبها وعواطفها ، وكأنها لشاعر طال عهده بالحنانة واللين ، (١)

---

(١) في الشعر الإسلامى والأموى : د . عبد القادر القبط ، ص ٢٦

(٤) لا نستطيع القول بأن الفول تعرض لتطور كبير في أول العصر الإسلامي ، اللهم إلا ما أشرنا إليه من بعده عن الحسية ، والاستثمار والعجث ، وميله للرقعة والعمفة ، وحصره على ما يرضى الخلق القديم وعلى الأعراض والحرمات لئلا يتطور الحقيقة حتى سيظهر بعد ذلك في عهد الأمويين .

الأعراض الجديدة : بالإضافة لما أدخله الإسلاميون من سمات جديدة ، وطوايع مستحدثة على الأعراض المطروقة في الجاهلية ، فإننا نلاحظ أثرهم النطري أيضا متمثلا في ابتكار أعراض وموضوعات لم نعرف من قبل ، وهي :

١ - وصف البلاد الأخرى : عاش العرب قرونا في شبه الجزيرة لا ينفذون بها ، إلا نادرا ، وفي رحلات محددة المسار بهدف تجاري مسبق ، وكان القائمون بها تجاراً ، وأصحاب رؤوس الأموال ، فلا شأن لهم بأحوال البلاد وصفات أهلها . وأحيانا يقوم أحد الشعراء برحلة إلى ملك أو عظيم لمدرحه واسترقاده إلا أنه لا يلتفت غالبا للبلاد وأهلها ، فهو قد أعد الشعر مسبقا وهو يرغب في تحقيق هدف الرحلة والعودة سريعا . من هنا القول أننا لا نجد نماذج لوصف البلاد وسمات السكان خارج شبه الجزيرة قبل الإسلام .

فلما بعث النبي عليه السلام مبعثرا وهاديا للإنسانية كافة ، وبعده تلميت دعائم الإسلام بفتح مكة ، بدأت حركة نشطة لأشر الدين

وهداية الفاس، ولئن كان الإسرق قد اقتصر في عهد الرسول على غزوات سرية محدودة الأثر والبعد، إلا أنها كانت إشارات بدء، وأمثلة تحتذى، ثم تبعتهما غزوات ضخمة بعيدة المدى واسعة الأهداف، وفيها انطلقت الجيوش الإسلامية شرقا وغربا ترفع راية الحق والهدى، وتحقق النصر الذي وعد به الله سبحانه، ووعدته الحق، وأطلع العرب على بلاد تختلف عن بلادهم كل الاختلاف، سواء في البيئة الطبيعية أو في نظم الحياة وعوائد البشر، أو في درجة الحضارة والتقدم المدني.

ولم يقصر الشعر الإسلامي في وصف تلك البلاد، والتعريف بأهلها وطبائعهم وسلوكهم وطرق معاشهم وملابسهم، وكذلك معانيهم ومعالم حضارتهم، وإيجاز: حاول أن ينقلنا إلى تلك الدنيا الجديدة لنراها كما نراها ونحس بإيقاع الحياة فيها كما أحس.

ونستخلص ملامح هذا المجال الشعري الإسلامي في:

(١) لأن هذا الغرض جديد وناشئ فمناخه جديدة، وهو لا يتكىء على تراث سابق، ولكنه يبتدع تقاليده الخاصة ويتخذ لغته الخاصة.

(٢) هدفه الأول هو التعريف بالبلاد وما يميزها من ظواهر طبيعية وحضارية، ولذلك يلتقط الطرائف اللافئة مثل البرد القارس، أو الحيرات السكينة أو الفياض المشاركة في الحرب، ثم عروش الملوك

والكنائس الضخمة ، ويتطرق أحيانا للملابس الجند وأصرفاتهم . . .  
وهكذا .

(٢) يغلب عليه طابع الدهشة والتعجب والقطعات السريعة العابرة  
دون تأمل أو استبطان للظواهر .

(٤) لغته سهلة بسيطة ، فلا تعثر ولا كلمات نادرة ، ولا ألفاظ  
ضخمة غريبة أو أساليب معقدة .

(٥) يتخلو من التشبيهات والصور المألوفة : لأنه يعرض مناظر  
غير تقليدية ، ويحفل بطرائف مستحدثة لا تظهر لها ، ولذا فهو لا ينمل  
من معين سابق ولا ينسج على مفوال قديم .

٢ — الحقير والغريبة : من أرق وأعذب ما أضافه شعراء  
الإسلام إلى الديوان العربي ، تلك الغمات الرقراقة الحارة المتدفقة ،  
التي عبرت تحمل الشوق والحزن من المحمدين المنقرين إلى وطنهم  
وأهليهم ، ثم ترجع ساملة الهممة والشوق والحنان من الأهل والوطن  
لذات الأكباد البعيدة ، وسقيفة أن بعض الدارسين يرى المطالع  
الطليعية لبعض القصائد الجاهلية صورا من الحنين ، يتذكر الشاعر  
ماضيه أيام كان والمحبة في منازل متجاورة ، فيحن لتلك الأيام  
ويصور آثار المنازل وأطلالها ، سائلا عن أهلها الراحمين ، متشوقا  
لذكر ياتمة وسعادته الضائعة .

لسكن البون شامع بين الحنين والغربة في العصر الإسلامي وبين تلك المطالع ، لقد صار فناً محدد التقسيمات واضح المعالم ، يختلف كما وكيفاً ، وله سمات ظاهرة يمكن إيجازه في :

(١) أصبح مقاطع كبيرة في بعض القصائد ، كما اختصت به قصائد كاملة طويلة ، وتعددت نماذجها وكثرت ، خاصة حين امتدت الفتوح الإسلامية إلى أقصى الأرض شرقاً وغرباً مع نهاية عهد الراشدين حتى الأمويين .

(٢) حفر إليه إحساس حاد بالغربة ، لأن الشاعر المسلم انتقل مع الجيوش لبلاد شديدة الاختلاف عن وطنه ، وعاشراً أناساً لا يشبهون أهله ، ولا يتكلمون لغته ، وكذلك انبعث نتيجة حنين فياض للوطن بأكملة ، وليس لحى أولادهم أو سبع ، حنين للسماء والأرض والمناخ والنبات والحيوان والطير ، حنين للخيام والنوق والشيء ، للرياح والبرق والمطر ، اشتياق عارم للأهل والأحباء والناس - كل الناس - في ذلك الوطن .

(٣) وبأق الحنين والنشوق من اتجاهين متراسلين : حنين من الأهل المجاهدين الأبطال ، الذين خرجوا يملكون كلمة الحق وينشرون التوحيد ، يشيرون الإيمان ، ثم حنين من المغتربين يبعثونه للأهل والوطن بكل مفر داته وذرائه وظواهره .

(٤) وكلا النوعين يخرج في لغات رقيقة وإحساس دافق فياض ومشاعر حارة صادقة .

(٥) وقل ما شئت عن جمال اللغة وسلاستها ووصفيتهما وعن  
عذوبة الألفاظ ورقتهما ودقة تعبيرها ، وعن اتساق الأسلوب  
وروعته وبلاغته .

(٦) بعد أن كان الشاعر المسلم الحنان يكتفي بلبث أشواقه في مناجاة  
مباشرة للأحباب والوطن والماضي السعيد ، بدأ يتخذ وسائل  
فنية للتعبير عن ذلك المائل من المشاعر النائرة ، فكانت الحماة رداً ،  
يفصح من خلاله عن أشواقه وتحنانه ، كما يقارن بين حنينها وحنينه ،  
وشجوها وشجوه ، فيكون هو الأشد لوعة والأهمل لطفه ، لأنها تسجع  
بلاعبات وهو يبكى بدمع فزير ، وراح يلتفت كذلك إلى نباتات  
وأشجار وطيور كان يراها في وطنه ، فيحتفل بها ويحن إليها تعبيراً  
عن حنينه إليه .

٣ - المعاني الإسلامية : وهذا هو ثالث الميادين التي فتحها الشعر  
الإسلامي ، ويعد أرحمها وأكثرها تنوعاً ، والشاعر العربي متمرس  
منذ القدم بالحديث عن القيم الأخلاقية والمثل ، وهي إحدى مجالات  
شغفه واعتزازه .

ولا جدال في أن العرب - رغم جاهليتهم - كانوا على مستوى  
خطقى رفيع ، يؤمنون بقيم وعبادى سامية كريمة ، مثل الوفاء بالعهود  
ولإجابة الداعى ، وقرى الضيف ، والجود للسانى ، ونصرة المظلوم ، كانوا  
يؤمنون بمثل تلك القيم ويدعون إليها ، فلما هداهم الله للإسلام ثبتهم

عليها ، وأمدحهم بالمزيد من الصفات العالية والمثل الشريفة بين  
دينية وأخلاقية .

أما عن صياغة هذه المثل والأخلاقيات شعرا ، فقد اعتاد العرب  
استغلال طاقات الشعر وإمكاناته في التهذيب والدعوة لما يريدون من  
مبادئ وقيم ، وإلى ذلك يشهد أبو تمام :

ولو لا خلخال سنن الشعر ما درى

بغاة الملا من أين تؤق المسكارم

وكان ذلك فيما يعرف بشعر الحكمة الذي يصاغ في أبيات تختم  
بالفصيحة أو تنخلها ، ولأنه ليس تقليدا متبعيا عند كل الشعراء ،  
وليس في كل الفصائد ، ومن هذا فلا يمكن اعتباره غرضا قديما  
جديده الإسلام وأضاف إليه وإنما هو غرض إسلامي محض ابتكره  
المسلمون ، وخاصة وأنهم نظموا قصائد كاملة طويلا ومتطوعات متعددة  
منه . ولعل قيام الإسلام - قرآنا وسنة - على الدهرة والموعظة  
يقول تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) كما  
يقول سبحانه ﴿ ولما قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك  
بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (٢) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (٣) : إن الدين النصيحة

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٥

(٢) سورة لقمان ، آية ١٣

(٣) لسان العرب ، ج ٦ ص ٤٤٣٨



لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، كما يقول عليه السلام  
« الدال على الخير كفاعله » ، والله يحب إغاثة اللهمنان ، (١) .

لعل ذلك كله كان باعثا للشعراء الإسلاميين على الاستفادة مما في  
الشعر من قدرة على التأثير والجادية ، والبقاء في الذهن ، واستغلال ذلك  
لنشر الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وتذويب الشنعية ، والسحر بالنفس  
وترويق الطبع ، فكثرت النماذج الشعرية في هذا المجال بين قصائد  
طوال ، ومقطوعات قصار ، وأبيات متفرقة ، وتتلخص ملامح هذا  
الغرض في المقاط التالية :

(١) أغلب نماذجه تدرج تحت ما يعرف بالشعر التعليمي إذ  
يقوم على الدعوة لمبادئ الدين ، ونشر قيمه وتعاليمه ، كما يهدف إلى  
إصلاح النفوس وتذويب الأخلاق وبث الفضائل .

(٢) يتجسد في أبيات غير القصائد المتخصصة لأغراض أخرى ، كما يتمثل  
في مقطوعات وقصائد متخصصة له .

(٣) يستمد معانيه وأفكاره من مبادئ الدين الحنيف ، كطاعة  
الله ورسوله والتقوى والتوبة عن الذنوب ، وبر الوالدين والوفاء بالعهد . .  
الخ ، وكذلك من القيم الأخلاقية العليا ، مما عرفه العرب قديما ودعا  
إليه الإسلام أيضا كالكرم والفجدة والإخاء وحقوق الجار . .

(٤) يتخذ لغة سهلة ، ووسائل فنية بسيطة وقد يمكنني بالنصح  
المباشر ، وتكثر فيه المفردات والعبارات المقترنة من القرآن الكريم  
والحديث النبوي الشريف .

(١) فيض القدير : ج ٣ ص ٥٣٧ حديث رقم ٤٢٤٧

مائتاً : اللغة والأساليب : في مقدمة الملاحظات التي تستلقت المدارس  
للشعر الاسلامي تأثره بالقرآن الكريم تأثراً لغوياً ، أو أسلوبياً بعد  
التأثر بالمعاني والافكار . يتناول الدكتور شوقي ضيف ذلك الأثر  
في اللغة والأدب عامة فبإزاء مائتاً في مجالات ثلاث : أولها : جميع العرب  
على لهجة قرشي ، بعد تهذيبها واستكمال ما يفتقها من مفردات .  
وثانيها : الارتقاء بالعربية إلى منزلة لا تنافسها فيها لغة أخرى ، حين  
جعلها لغة دين سماوي للبشر كافة ، فوهبها معاني وألفاظ لم تكن  
تعرفها قبلاً ، كما وهبها الخلود الدائم والحياة المتجددة المتألفة بلا  
ضعف أو خمول أو موت يتمدها . وثالث آثاره : أنه هذب اللغة  
من الحوشية ومن اللفظ الغريب ، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من  
البيان والبلاغة ، ويكفي أن تعود إلى معلقة مثل معلقة لبيد أو إلى شعر  
قبيلة مثل هذيل وديوانها المطبوع ، لترى كيف أن القرآن اختط أسلوباً  
جولاً له رونق وطلاوة مع وضوح الفصـد والوصول إلى الغرض من  
أقرب مسالكه ، وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول ، فاللفظ  
على قدر المعنى وكأنما رسم له رسماً ، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام  
ولا عن القلوب ، بل يقرب منها حتى يلصق الشغاف ،<sup>(١)</sup> وهذا الأسلوب  
للرائع الجديد أسرار العرب بسحره ، وهلك أفئدتهم ببهائه وجماله  
ففسحوا على مفواله ، وترسموا آثاره ، واهتدوا بهديه ، يصوغون  
آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته الكريمة ، وحسن مخارج الحروف .

(١) العصر لاسلامى : د. شوقي ضيف ص ٣٣ ، ٣٤ .

فيه ، ودقة الكلمات في موضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ،  
وبحيث تجلي عن مغزاها مع الرصانة والحلاوة ، (١) :  
ويعقد الأستاذ ظافر القاسمي موازنة بين الشعر الجاهلي مثل  
في أحد نماذجه الشهيرة — معلقة امرئ القيس — وبين الشعر  
الاسلامي وبينما الفارق الكبير ، مشيراً إلى كلمات بارزة في الأبيات  
التي أوردها ، يقول : « كان أسلوب الشعر الجاهلي متسقاً مع ما في حياة  
الصحراء من شظف ، ومع ما في طبيعتها من جفوة ، ومع ما في تقاليدها  
من قسوة : غفامة في الألفاظ ، وغرابة في انتقائها ، وصعوبة في نطقها ،  
وتنافر في تركيب حروفها ، عسيرة حسر الحياة فيها ، جولة في  
تركيبها » (٢) » ويعطى المدارس أمثلة من معلقة امرئ القيس على  
ما يقول من تنافر حروف الكلمات وصعوبة نطقها :

وفرع بزين المتن أسود فاحم  
أثيث كفتو النخلة المتشكل  
خداثو مستشذرات إلى الملا  
فضل العقاص في مثني ومرسل

\* \* \* \*

فلما أجونا ساحة الحى وانتهى  
بنا بطن خبيث حفاف عثقل

- 
- (١) العصر الاسلامي : د. شوقي ضيف ص ٣٣ ، ٣٤ .  
(٢) نظرات في الشعر الاسلامي : ظافر القاسمي ص ١١

\* \* \* \*

معرفة بيهضاء غير مفاضلة  
ترائبها مصقولة كالسجندل

\* \* \* \*

فأضحى يسبح الماء حول كهيئة  
يسكب على الأذقان دوح الكهنيل

وبعد استعراض أمثلة متنوعة من الشعر الاسلامى يقول :  
«وأما الشعر الاسلامى فقد تحرر من صفات أسلوب الشعر الجاهلى  
تحرراً ظاهراً ، وأصبح له طابع جديد يتسم بالوضوح والسهولة  
مع المحافظة على جمالة التركيب» (١) ويقول المدارس فى موضع آخر :  
«يجد أن الالفاظ قد تغير استعمالها ، وتجددت موسيقاها ، فلوست ترى  
والعقنل والمنعشك والسهجندل والكهنيل ، وأمثالها ، لا روبا  
للغافية ولا من كلم القصيد ، كذلك فإن تركيب الالفاظ. وضم الكلمة  
إلى أختها ، الذى هو أصل البلاغة فى رأى الجاحظ — معلم العقل  
والادب — قد طرأ عليه تطور ظاهر» (٢) وهو يرجع هذا التطور  
الأسلوبى فى الشعر الاسلامى إلى أثر القرآن الكريم الذى فتن العرب  
ببلاغته وسحرهم بقضا حته .

---

(٢١) نظرات فى الشعر الإسلامى : طاهر القاسمى ص ١٩ .

وواضح من رأى الدارسين الفاضلين أن التأثير اللغوى للقرآن  
فى الأدب - شعرا ونثرا - يتم فى مجالين هما :

إثراء المعجم العربى : بإضافة مفردات جديدة تدور حول  
الإسلام بجوانبه المتعددة : اعتقادا وعبادات ، ومعاملات ،  
دنيا وآخره ... الخ .

تحول مقياس البلاغة والبيان من الغرابة والتعقيد فى ندره  
الكلمات وصعوبتها ، وفى نخامة العبارات وتعاطفها ، تحوله إلى  
السلاسة والسهولة والرقه والبساطة مع رقة التعبير وقوة البيان ، وذلك  
بحسن اختيار المفردات والاهتداء بأسلوب القرآن فى جمال التراكيب  
وعذوبتها .

ومن أمثلة الالفاظ القرآنية أو الإسلامية عامة ، التى مرت  
بنا فيما عرضنا من شعر ، وكذا الجمل أو التركيب :

بجموعة تدور حول أسماء الله سبحانه وصفاته مثل : أمر الله ،  
ذو العرش ، رب المشرق ، حول ، نصر الله ، رب الناس ، عباد الله  
معاذ الله ، إله الحق ، إله الخلق ، الله راء وسامع ، غفور لذنب المرء ،  
الله يحكم حكمه ، الله يرزقنا ، لك الخلق والنعماء ، إياك نستهدى وإياك  
نعبد ، توكلنا على الرحمن ، ثواب الله ويعيدنا الله العزيز ، الله فحمد ،  
أقرب إلى الله الرحيم .

بجموعة تتصل بالقرآن الكريم : كالوحى ، كتاب جاء بالحق ،  
كتاب منزل ، كتاب الله .

مجموعة ترتبط بالرسول عليه السلام : كالنبي والرسول ومحمد  
ومحمود ، مباركاً براحمته ، سنة - نور أضاء لنا ، نور يستضاء به ،  
واحده من خوم ، خاتم ، رسول الرحمة ، للنبوة خاتم ، النبي الممهد  
أمين الله أنذرنا ناراً وبشر الجنة ، سراجاً منيراً وهادياً ، نبي الهدى  
نطيع أمر نهيها ، الباذلين نفوسهم لنبيهم ، يحرم شفاعة ، فترة من  
الرسول ، إذ قال فيه الحسن المؤذن أشهد ، خير البرية ، وضم إليه اسم النبي  
إلى اسمه .

مجموعة متنوعة : إسلام ، مسلم ، مسلمون ، جهاد جهاد ،  
جهاد ، هجرة ، مهاجرون ، أنصار ، موحدة كفر ، كافر ، كفور ،  
مشرک ، أصنام ، أوثان ، الشرك ، الكفار ، الظلام بمعنى الضلال ،  
البر ، نيك ، ميكال ، الصالحون ، المؤمنون ، جنان ، نعيم ، أشهد ،  
شهادة يفلد ، أتوب ، اغفر ، زلتني ، يوم الحساب ، نسج داود إذا  
بلغ النقر ، اعتصمنا ، الصبر للمدة وكينا ، رجلاً يصل ، بشرى الحياة ،  
جنان الفردوس ، روح القدس .

ولا شك أن هناك مئات أو آلاف العبارات والكلمات الإسلامية  
في أشعار لم نستعرضها ، لأننا نتمثل بحسب ولا نفحص .  
بقي الوجه الآخر للتأثير الإسلامي في الشعر لغويًا ، وهو ميل الأسلوب  
للرقة والسلاسة والعدوية ، ولا تعني هذه السلاسة ضعفًا في اللغة أو هبوطًا  
بمستوى الأسلوب عن الجوانب القوية ثالثة الذميج - كما تصور بعض المقادير - ولكن

التي بسطوا الجمال وهو ما يمكن تحويله بالإغيا هاهنا، وسوف تفتح قلوبنا حين  
نتقدم أكثر في عهد بني أمية، فسوف نلتقي بالغزل العذري الشريف،  
يصاغ في أسلوب غاية في الرقة والجمال والموسمية، متخيلا مفرداته  
بمعناية فائقة، مبتعداً عن النقص البلاغي، وحشد الألفاظ المعجمية  
الضخمة، متجنباً للغرابة والحوشية.

وقد رأى الدكتور عبد القادر القط في ظاهرة البساطة والرقة  
نوعاً من ضعف المحتوى الشعري خاصة فيما يتصل بالاسلام ومبادئه،  
ولكنه يحتج إذا تناول الشاعر في نفس القصيدة أغراضاً أخرى،  
ويمثل لذلك بحرية حسان بن ثابت فيقدم أبياته التي يمدد  
فيها المشركين :

ههنا خيلنا لمن لم تروها  
تثير النقع ، موعدهما كداء  
يجارين الأعنة مصعدات  
على أكتافها الأسل الظام  
تظل جسادنا متمطرات  
تلطم من بالخير النساء  
فأيا تعرضوا عنا اعتمرنا  
وكان النقع وانكشف الغطاء

والا فاصبروا لجماد يوم

يعين الله فيه من يشاء

وليعقب الذكر على تلك الآيات قائلا: والشاعر في هذه الآيات — ولم يصل بعد إلى موضوعه الإسلامى — يعضى على طريقته فى المقدمة محتفظا بسمت شعره الجاهلية فى لغته وأسلوبه ، فإذا انتهى إلى الحديث عن المسلمين تغيرت لغته وشاع فيها كثير من الألفاظ الإسلامية ، وتنف ما فى أسلوبه من رصانة وتأسك ، وأصبح شعره أقرب إلى نظم المعانى الإسلامية منه إلى التصوير الشعرى :

وجبريل أمين الله فينا

وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبدا

يقول الحق إن نفع البلاد

شهدت به فقوموا صدقوه

فقلتم لا نقوم ولا نشاء

وقال الله قد يسرت جندا

هم الأنصار عرضتها للقاء

والحق أن هذا المنهج المتأرد فى أغلب شعر حسان الإسلامى ، فتأرجح شعره بين الأسلوب الجاهلى فى صورته ولغته ومعانيه ، وأسلوب لا يمكن أن نسميه إسلامياً



بالمعنى الصحيح ، وإنما يستخدم الشاعر فيه بعض الألفاظ القرآنية  
والمعاني الدينية ويتحول فيه من المعجم الشعري الجاهلي ، مؤثراً  
بالبساطة ، التي قد تمتص أحياناً إلى ضعف النظم والركاكة ، (١)

وبرجع الناقد الكبير هذا الضعف إلى أن الشعراء في تلك الآونة  
عاشوا فترة انتقال بين عصر وعصر ، حين فاجأتهم تجارب جديدة ، هم  
لا يملكون رصيداً من التراث الشعري يعينهم على تصديرها ولم يتح  
لهم الوقت وتلاحق الأحداث أن يبدؤوا — بعد — إلى أسلوب فن  
ملائم لاستيعاب تلك التجارب والتعبير عنها .

وأنا لا أفتق مع الناقد الكبير في اعتبار الآيات التي قدمها  
لحسان أولاً غير إسلامية ، فغرضها — أو فكرتها الأساسية — إسلامية  
إذ أنها تهديد للمشركين بما أعده لهم المسلمون ثم هي تحفل بالألفاظ  
الإسلامية ، وتبتهل لتهافت القرابة والتعقيد وتذم بالوضوح والبساطة .

وكذا فاني أتحفظ على وصف أسلوب حسان بالضعف الذي يصل إلى  
النظم الركيك ، خاصة في هزئته تلك ، فهي من روائع شعره الإسلامي  
وقد أشاد بها كثير من الدارسين ، كما لافت محاسنها وانتشارها في عصرها ،  
ثم إن وجود بيتين أو ثلاثة في الآيات الأربعة التي استشهد بها الناقد  
الكبير أقل مستوى وأدق نسيجاً ، لا ينهض من قيمة القصيدة ،  
ولا يسم الشاعر بالضعف والركاكة ، فالقصيدة طويلة متعددة الأغراض

(١) في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٤٦

كثيرة الاستطراد ، مما يوقع الشاعر في بعض الهفوات ونقاط الضعف ، وذلك يحدث لكثير من كبار الشعراء حتى الجاهليين .

لكن دفاعي — عن حسان وهزينة ، لا يمنع وجود شيء من الضعف وهبوط المستوى الفني في نماذج قليلة من الشعر الاسلامي — خاصة ما يعرف بشعر الفتوح .

وهذا الضعف يمكن معالجه بما ذكره الأستاذ الفاضل عن فترة الانتقال وجدة التجارب ، وكذلك صدور تلك النماذج عن شعراء غير محترفين ولا معروفين بالشعر ، وإنما وضعهم الأحداث في خضم التجارب العنيفة التي هزت وجدانهم ، كعمارك الفتوح أو الاغتراب عن الوطن . أو فقد الأجزاء ، فنظموا الشعر دون خبرة ومراس ، ودون حميد من التراث الشعري الجاهلي ولا حصيلة من الكلمات والعبارات . والصور التي يختزنها الشاعر المحترف ، ويفترق منها كلها هم بالنظم .

والأقرب للمصحة أن نرجع السهولة والتبسط في قليل من أمثلة الشعر الاسلامي إلى اتخاذه وسيلة دعائية ، ثم إلى حرص الشعراء المسلمين على مواكبة الأحداث ، وأخيراً إلى استعماله سجلاً وتاريخاً للقوانين والانتصارات .

فاتخاذ وسيلة دعائية يتطلب أن يكون قريباً من جميع المستويات الثقافية للجمهور المتلقي ، كما يتطلب أن يكون سريع الفهم ، وبالتالي سريع التأخير ، وكل ذلك يحوج الشاعر إلى استعمال لغة سهلة متداولة .

هذا إلى البعد عن الإغراب والنعقيد ، بل وحقق عن الوسائل الفنية التي  
تحتاج من متلقيها إلى تأمل وإعمال ففكر وثقافة خاصة .

أما حرص الشعراء على مواكبة الأحداث فيدفعهم إلى كثرة  
النظم والاسراع إليه بمجرد وقوع الحدث كي لا يتهم بالتخلف عن  
المشاركة وعدم الاهتمام وذلك الاسراع يحرمه من التروى واختار  
الفكره ، ومعاشة التجربة واستبطان الشعور .

وأخيراً فإن استعمال الشعر سجلاً للوقائع ، وتأريخاً للانتصارات  
يمول به إلى الخطابية والمباشرة وأسلوب السرد ، ويوحى بالأسماء  
والأحداث والأيام والتواريخ والأماكن ، وكل ذلك ينأى به عن  
لغة الشعر وفنيته . ثم يشير الأستاذ الدكتور عبدالقادر إلى ظاهرة  
نغمية أخرى لدى بعض الشعراء الإسلاميين ، على أن الظاهرة النغمية  
التي لاحظناها عند الشعراء السابقين ما تزال قائمة في قصيدة أبي ذؤيب  
لذا ترقى الفاظه ويسلس أسلوبه وتظهر ذاتيته في المطلع النفس ،  
ويعود إلى الغريب والجزالة والموضوعية في لوحاته الوصفية (٢) .  
ثم يرجعها الناقد الكبير إلى ضعف التأثير الإسلامي على الشاعر ، فهو  
يفتخر من القديم في الموضوعات التقليدية ، ثم يرق ويعذب في  
المواقف النفسية الذاتية ، وهذا طبيعي في الفترة الباكورة من العصر

(١) في الشعر الإسلامي والأمري : ص ٤٥ .

الاسلامى فلم يكن للشعر الجديد قد كون تراثه بعد ، لكننا مع تقدم الزمن سوف نلاحظ التغير والتطور ، والحق أن من أهم صور (١) التطور في الشعر العربى حينذاك ، تلك اللغة الاسلامية الحضريّة بأصايلها وألفاظها ، بعد أن مرت بمراحل من التطور التدريجى بدأت في تلك المرحلة التى ندرسها ، ثم اتضحت معالمها في العصر الأموى (٢)

وهناك ظاهرة لغوية أخرى بدأت إرهاصاتها في أول العصر الاسلامى ، ثم شادت بعد ذلك وخاصة عند الشعراء الذاتيين أو العاطفيين فأصبحت ظاهرة مشتركة بين كثير منهم ، وقد أشار الدكتور القبط إليها في قصيدة أبى ذؤيب وفي قصيدة أخرى منسوبة إلى مهزس بن قزط ، تلك هى ظاهرة تكرار كلمة معينة في نفس البيت أو في بيتين متتاليين لعدة أهداف .

١ — تحقيق المفارقة والتقابل بين أمرين أو وجهين :

يقول أبو ذؤيب :

سبقوا هواى ، واهنقوا لهوام

فتخرموا ، ولكل جنب مصرع

(١) أضفت كلمة صور لأن الهمز بدونها لا يستقيم .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

فقد أراد بكلمتي هوى ، هوام ، إحداث مفارقة وتقابل بين  
ما كان يرجوه من موته قبل أبنائه ، وبين الواقع المرحون سبقوه  
بموت جماعي .

ويقول عباس بن مرداس في مدح النبي ﷺ :

ونورت بالبرهان أمرا مدمسا

وأطفأت بالبرهان نارا مضرا

فتكرار البرهان يؤدي إلى تقابل بين إنارة ظلام الجهل والضلال  
بإطفاء نار الشرك والكفر . ويقول حسام بن ثابت :

إن كان في الناس سباقون قبلهم

فكل سبقي لأدنى سبقهم تبع

فسبق ، سبقهم أظهرنا المارق بين زرعين من السبق أحدهما  
للمسلمين الذين يفخر بهم حسان والثاني لغيرهم .

(٢) تكرار اللفظة لتحقيق إيقاع يؤكد حمدة الإحساس عند  
المتلقي ، كما يشير لديه توقعا للقافية :

يقول ربيعة بن مقروم العنبي :

ودعوا نوال ، فكنيت أول نازل

وعلام أركب لذا لم أنزل

فكلمة نازل في الشطر الأول هيأت الفارئ لتوقع القافية ، كما أن  
الكلمات الثلاث : نازل ، نزل ، أنزل أكدت إحساس الملقى بالإقدام  
والشجاعة التي تملأ نفس الشاعر .

يقول حسان بن ثابت مفتخرا بقومه :

قومي الذين هم آووا نبيهم  
وصدقوه وأمل الأرض كفار  
إلا خمسائهن أقوام هم سلف  
للمصالحين ، مع الأنصار أنصار  
فأنزلوه بدار لا يخاف بها  
من كان جارهم ، داراً هي الدار

ففي البيت الثاني تدفعنا كلمة الأنصار إلى توقع القافية كما تؤكد  
الإحساس بمظنة الممدوحين .

وكذلك دار في البيت الثالث تجعلنا نتوقع القافية وتزيد شعورنا بما  
لقيه الرسول الكريم من ترحيب وحفاوة وأصر في المدينة بين الأنصار .  
ويقوله أبو ذؤيب في رثائه لبنية :

أم ما لجنبك لا يلائم منجما  
إلا أفض عليك ذاك المنجج

فنهضجا الأولى جعلت الفارسي يتوقها روبا ، كما أحدثت إيقاعا  
بين المروض والقافية يقوى حدة إحساس الشاعر بالآثاق والحزن المعض  
٣ - الربط بين البيتين بما يوضح ويقوى الإحساس الذي عفى  
الشاعر بقله ، ويوحّد بين أجواء الصورة :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم  
فإذا المنية أقبلت ، لا تدفع  
ولذا المنية أنشبت أظفارها  
الفيت كل تيممة لا تنفع  
لقد وزع أبو ذؤيب فكرته وصورته على البيتين ، وكرّر لفظ المنية  
ليربط بينهما ويملّ شمل أجواء الصورة .  
وحسان بن ثابت حين قال في حميرته :

أبلغ أبا سفيان أن محمدا  
هو الغصن ذو الأفنان ، لا الواحد الفرد  
وأبلغ أبا سفيان عفى رسالة  
فما لك من إصدار دم ، ولا ورد

فشكرار دأبا سفيان ، ربطت بين البيتين ، وجمعت أجواء  
صورتي المندرج : النبي - والمهجو أبو سفيان -  
أما كتب بن زهير في « بانيات سعاد » فيقول :

أهست معاد بأرض لا يبلغها  
إلا العتاق النجيبات المراسيل  
وان يبلغها إلا عذافة  
فيها على الآين إرقال وتبغيل

فقد ربط بين البيتين كما أجاد التعبير عن حسه بهمد الحبيبة ، وطول  
المسافة بينهما حين كرر يبلغها .

وبوسعنا الآن استخلاص ما حدث في لغز أساليب الشعر الاسلامي  
من تطور خلال العهد النبوي والراشدي :

١ - التأثر بالقرآن الكريم في مجالين : اثره المعجم العربي بمفردات  
جديدة ترتبط بالإسلام في مختلف جوانبه وكذلك في تحول مقياس  
البلاغة إلى السهولة والرفقة .

٢ - ميل الشعر الاسلامي إلى الرقة والبساطة يرجع إلى أن الفترة تعد  
انتقالا بين عصرين ، وجود تمجارب جديدة لم تتأصل طرق التعبير  
الفني عنها ، ولأن الشعر وسيلة دعائية وسجلا للوقائع والتاريخ ،  
والشعراء يتابعون الأحداث بإنتاج سريع فلا يجدون فرصة  
للتنقيح والتمذيب .

٣ - كثير من الشعراء غير محترفين ، فلا يملكون رصيда فنيا  
ولا خبرة وممارسة .

٤ - استغلال ظاهرة التكرار اللفظي لعدة أهداف .



(رابعاً) البناء الفني : يتفق المدارسون للشعر في باكورة العهد الإسلامي على أن التغيير الجذري الخطير الذي أحدثته الإسلام في شتى جوانب الحياة ، كان بحاجة إلى فترة زمنية طويلة لكي يستوعبها الشعراء ويتشكّلوه ويمارسوه وجدانها وذهنها ، ثم يمتدوا - بعد تجارب ومحاولات ابتدائية - إلى وسائل فنية جديدة ، ولغة شعرية موحية معبرة ، وصور مبتكرة مناسبة ، ويترج كل هذا في نسج شعري محكم ، يعبر عن الحدث الكبير وينلهم مع أهميته وقوته .

وعلى ذلك . . فضاء المستوى الفني لشعر تلك الفترة - لمسلمنا بوجوده - لا يرجع إلى التأخير السلبي للإسلام على الشعر ، وإنما يعود إلى قصر الفترة - موضوع الحكم - وبالتالي عدم توافر الوقت الكافي للتجويد والابداع الفني المتقن .

وبالإضافة إلى هذا التحفظ ، يجب أيضاً قبل النظر في البناء الفني للشعر خلال العهد النبوي والراشدي ، أن نضع في الاعتبار أمرين مؤثرين :

(١) الكثرة الهائلة في نماذج الشعر ، وخاصة ما صيغ في معارك الفتوح ، إن الإنسان ليدعش حقاً أمام هذه الكثرة من الشعراء ، حتى لينحيل إليه أن القاصدين جميعاً قد استحالوا شعراء ، (١) ويحل هؤلاء الشعراء ليسوا معروفين ولا محترفين ، وإنما هم من عامة المجاهدين ،

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣٥

حفظهم الموقف وهزتهم النجارب ، وأثارت مشاعرهم ظروف الجهاد والغربة والشوق، فنظموا الشعر دون أن يتجهزوا بأدواته أو يتعرسوا بعلمه وروايته وكتابته ، وفي هذا الحضم الهائل من النماذج البسيطة السريعة الشعراء مغمورين غير مجودين، تفرق وتضيع نماذج أخرى متميزة ورائعة للشعراء المحتارين ، ويكون حكم الناصين على الشعر الإسلامي عامة بالضعف الركك .

## (٢) حرص الشعراء على متابعة الأحداث المتلاحقة في المجتمع

الإسلامي وكانما أصبح الشعر سلاحاً آخر من أسلحة القتال ، يعتمد عليه المقاتلون كما يعتمدون على سيوفهم ورمحهم وسهامهم . . . وفي أعقاب كل يوم من أيام القتال ، يقف الشعراء يرثون شهداءهم ، ويستلمونهم الحاسة والتهنئة ، كما يتحدثون عن مصارع أعدائهم ، ويفتخرون بأنهم أوردوهم موارد الموت والهلاك ، في سبيل نصرة القضية التي يقاتلون من أجلها (١) كل ذلك هذا الأغراض والقصايا الأخرى.

وبعد هذين الاعتبارين يمكننا إلقاء الضوء على جانب البناء الفني لنرى ما استبقاه الإسلاميون من تراث جاهلي وما أضافوه جديداً إلى نسق القصيدة العربية وتصميمها .

## (١) المقدمات الغزلية والخبرية في القصيدة : توزعت مقدمات

(١) تاريخ الشعر العربي : د . يوسف خليل ص ٢٩

القصيدية الجاهلية بين الغزل، وزوجها بالخبرات أو متداخلا مع الاطلاع، وقد ظل هذا التقليد في سائر الشعراء الاسلامى إلى زمن متأخر، بل امتد هذا البعض إلى العصر الحديث - مثل أحمد شوقي - أحيانا .

وتقبل النقد بداية الغزل الذى يختلط بالاطلال أو يتفرد، ولكنهم وقفوا موقف الشك والتردد من المقدمات الغزلية الخيرية ويشك بعض النقاد من أن هذا الجزء الأول من القصيدة يبرهن أن الشاعر لابد أن يكون قد نظم في الجاهلية، ثم عاد فأتم القصيدة بعد الإسلام . ذلك لأنهم ينكرون أن يتحدث شاعر إسلامى، وثيق الصلة بالدعوة والرسول، مثل هذا الحديث الصريح عن الخمر، (١) بذلك يعقب الدكتور عبد القادر على مطالع مهنية حسان بن ثابت، ثم يشير إلى مطالع أخرى لحسان وشعراء غيره، يحتلط فيها الغزل بأشارات للخمر، ولا يرى في ذلك غرابة تدعو إلى الشك فيها إذا كانت تلك المقدمات نظمت أيام الجاهلية، ثم أكمل الشاعر القصيدة بعد الإسلام، ويرى كذلك أن المجتمع الإسلامى لم يكن متزمتا مع الشعراء، بل كان بعد أبيات الغزل والخمر تقليدا فيها ليس لآل، ولا يعبر بالضرورة عن سلوك عملى أو تهمل أخلاقى . د ألم ترى أنهم في كل راد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، (٢) .

(١) في الشعر الإسلامى والاموى ص ٤٣

(٢) سورة الشعراء: آية ٢٢٤

ويمكن أن نضيف في تعليل تلك الظاهرة — ذكر الخمر — أن  
تحریم الخمر وشرها يتم تدريجياً ، وعلى مراحل ، فلهل تلك الآيات  
قد انظمت قبل أن يحدث التحريم الكامل ، كذا فان الشاعر يتطرق إلى  
الخمر فإلها السكى يصف وضباب المحبوبة ، فهو لا يفرد للراح حديثاً ،  
ولا يعينها لذاتها ولا يفاخر بشرها أو يصف بحالها ، إنما هو تشبيه  
لحسب ، أو صورة فنية ورثها عن السابقين .

وخلاصة الأمر أن مهالغ القصيدة الإسلامية ظل محاطة على النعج  
الجاهلي ، فهو :

(١) غزلي خالص (٢) يتداخل فيه الغزل بالخمر

(٣) يمزج بين الغزل وبكاء الأطلال .

(٤) يدخل في الموضع الأصلي للقصيدة دون مقدمات .

(٢) وحدة الدلالة ووحدة التهجئة في القصيدة : يشير الدكتور

دهيد القادر ، إلى إرماسات تتطور هام في بناء القصيدة العربية  
بدأت بواكبه في هذا العصر ، ثم ترايد حتى ميز كثره من القصائد في  
العهد الأموي ، وذلك التطور يتبدى في كون القصيدة ذات دلالة  
واحدة ، وتصب في بؤرة شعورية واحدة ، حتى وإن تعددت  
موضوعاتها .

ويمثل الأستاذ البائد بقصيدة أبي ذؤيب في رثاء أولاده ، حيث

صممها في بناء محكم يتكون من مقدمة تعرض ما ساء الشاعر في فقد  
بذيه ، ثم يرسم ثلاث لوسعات لمقتل هاروشى وثور وفارس شجاع ،  
بادئا كل لوحة بشطر لا يتغير :

والدهر لا يبقى على حدثائه .

فربط بهذا التكرار بين المقدمة واللوحات الثلاث ، كما يعطى  
لقصيدته دلالة واحدة هي أن القناء نهاية كل حى .

وفي قصورى أن هذا التطور موجود في قصائد أخرى غير قصيدة أبى  
ذؤيب ، فكثير من قصائد حسان قد خلصت لغرض واحد ، كالغز  
أو المدح أو الرثاء ، وكثير من قصائد كعب بن مالك اقتصر على  
وصف معركة من المعارك بين المسلمين وأهل الشرك ، وهناك شعراء  
مختلفين خصصوا قصائدهم لوصف إحدى معارك الفتوح ، أو التعريف  
ببلد جديد وحل إليه المهاجرون ، أو رثاء الشهداء في أحد المواقع .

ومن المرجح أن وجود ذلك التقليد الشعرى الذى عرف مؤخر  
بعمود الشعر ، ويعنى البدء بالفضل أو الاطلاق ، ووصف الناقة  
والصحراء ، ثم الغرض الاصل ، نفاثة من آيات الحكمة ، من المرجح  
أن وجود ذلك التقليد في الجاهلية كان وراء توزيع القصيدة ، وعدم  
اتساقها في تجربة شعرية واحدة ، وبعض القصائد الجاهلية — مثل  
ما قبل في الرثاء — قد برئت من التشتت والانقسام ، وخلصت

لفكرة واحدة ، وتمتعت بوحدة الشعور والتجربة ، لأنها لم تنحصر  
لذلك التقليد .

فلما جاء الإسلام ، وقلت سيطرة التقاليد الشعرية الجاهلية وعاش .  
للمهراء تجارب شعورية حارة عنيفة ، تحررت بالتالي قصائدهم  
الإسلامية من تعدد الأغراض ، فتوافرت لها وحدة الدلالة  
ووحدة التجربة .

### ٣ — الافادة من قصص القرآن عن الأمم السابقة : لا ريب أن

القرآن الكريم تبعثر لا يفيض يستمد منه الشعر معاني وأفكارا  
وأمثلة ورموزا ، بعد أن اهتدى بهديه لغة وأسلوبا ، والشئ الجديد  
يبدأ دائما بمجرد لمحات وإرهاصات ، لكنه يسرى وينتشر بعد ذلك  
ليكون ملامح رقسمات ، ذلك ما نجده في مجال الافادة من قصص  
القرآن إنما إشارات موجزة وسريعة ، بمثابة القبسات المنيرة يقول :  
عبد الله بن الحارث بن عدي :

وذلك قریش تجدد الله خلقه

كما جددت عاد ومدين والجر

وهو يشير إلى الأمم السابقة حين كذبت رسالها وكفرت برسلها  
مستفيداً من قوله تعالى ﴿ وאלئك عاد جدودا بآيات ربهم وحصوا  
رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، واتبعوا في هذه الدنيا لعنة يوم

القيامة ، ألا إن عاداً كفروا ربهم ، ألا بعداً لعاد قوم هود (١) ،  
وكذلك من قوله جل شأنه ( ولما مدین انعام شعیبا فقال یا قوم  
اعبدوا الله وارجوا الیوم الآخر ولا تعشوا فی الارض مفسدین ،  
فكذبوه فأنخذتهم الرجفة فأصبحوا فی دارهم جائنین ) (٢) .  
وأخیرا فإن الشاعر یستوحی قول الله عز وجل ( ولقد كذب  
أصحاب الحجر المرسلین ) (٣) .

أما شداد بن عارض الجشمی فی تخويفه أهل الطائف وتنبیهم من  
قتال الرسول ، إن هم تمسكوا بأصنام لا تملك انفسها نفعا ولا ضرا:

لا تنصروا اللات إن الله مملکها

وكیف نصرکم من لیس ینتصر

تلك التي حرقت بالنار فاشتعلت

ولم یقاتل لدى أحجارها هدر

إن كبير الآلهة « هدر » لم یستطیع الدفاع عنها حين أحرقت تماماً  
كما فشل كبير الأصنام قديماً فی الدفاع عنها عندما حطمها ابراهيم  
( قالوا أنت فعمت هذا بالهتنا یا ابراهيم ، قل بل فعله كبيرهم هذا

(١) سورة هود : آية ٥٩ / ٦٠ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٣٥ / ٣٦ .

(٣) سورة الحجر : آية ٨٠ .

قالوا لهم إن كانوا ينطقون (١).

وليس من شك في أن هناك أمثلة عديدة لمن أراد استقصاء الظاهرة ،  
فقول عبدالله بن رواحة :

فشبت الله ما آتاك من حسن

تثبیت موسى ، ونصر كالذي نصرنا

فيه استيعاء لآيات كثيرة تحكي قصة موسى عليه السلام وتأيد الله له  
ونصره إياه على فرعون وجنده ، ومنها قوله تعالى ﴿ وفي موسى إذ  
أرسلناه إلى فرعون بسلاطين مبين فتولى بركته وقال ساحر أو مجنون ،  
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مايم ﴾ (٢)

وفي قول كعب بن مالك (٣) :

وأنت تك تمل البر بالوهم كلمت

سليمان ، ذا الملك الذي ليس بالعمى

فهمذا نبى الله أحمد سيجت

صغار الحصى في كفه بالترنم

لإفادة واضحة من سورة النمل وقصة النبي سليمان مثل قوله جل شأنه:

(١) سورة الأنبياء : آية ٦٢/٦٣ :

(٢) سورة الذاريات : آية ٤٠/٣٨ .

(٣) يشكده. عبدالقادر الفطحي نسبة هذه الايات لكعب ص ٣٢ .



(حق إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم  
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (١).

وأما شال ذلك كثير ، وحقيقة أنها إشارات موجزة ، لم يحسن الشاعر  
فيها استغلال المنهل القرآني الفياض ، ولكنها البداية التي تشوبها جدة  
المحاولة ، وتتمتع من هنا سذاجة الريادة ، وهي على أي حال لمحات دالة  
لما تركه القرآن الكريم من تأثير — لغة وأفكارا — وعلى استجابة  
الشعراء الاسلاميين لما يتطلبه التفسير الجذري من تجديد في أسلوب  
بناء القصيدة العربية .

٤ — اتخذ الشاعر للحمامة أو أحد مظاهر الطبيعة رمزا: الشعر  
لإحياء ولح ، رمز وإشارة ، وكلما ابتعد عن الخطائية والمباشرة ،  
كلما تجنب التصريح والإيضاح ، اقترب أكثر من الشعاعية والحماس ،  
واحتوى عنصر الاصل والتميز ، والإنسان دائما بحاجة إلى التأسى ،  
ميل للبحث عن شبيه ونذ ، يمثله شجوه ، ويفض له همه ويناجيه ،  
يتقارن بين حاله وحاله ، ويوازن بين آلامه وأوجاع نده ، ويستخلص  
الغزاة أو يثبت قوة احتماله وصبره ، والشاعر أكثر الناس حاجة  
إلى ذاك التأسى والسوى ، فهو الأشد إحساسا والأرق شعورا  
والأرق وجدانا والأوجع قلبا .

وقد كانت الطبيعة دائما أما حزونا ، يجود الشاعر فيها تعاطفا

(١) سورة النمل : آية ١٨ .

ومهادقة، ويتخذ من ظواهرها - حية وهامدة مستأنسة أو مستوحشة  
يتخذ منها أشباها ونظائر وليست معالم رموزاً وموضوعات ، يتخلع  
عليها ما يريد قوله عن نفسه ، ويتوصل بها إلى بيان حاله والتمبير عن  
شكواه، لقد هام امرؤ القيس في القفلة المفروقة بلا أنيس ولا صديق  
فالتقى بالذئب الجائع ، يشبهه في الفقر والعوز (١) :

فقلت له — لما عوى — إن شأنا

قليل الغنى ، إن كنت لما تمول

كلانا — إذا ما نال شيئاً — أظانه

ومن يحترث حرثي وحرثك ، يهزل

وعترة ، حين مر على أطلال الديار بعد رحيل المحبوبة ، هيجت

دموعه عبارات الحماة (٢) :

أفنى بسكاه حمالة في أيك

ذرفت دموعك فوق ظهر الحمل

كالدرا أو فضض الجمان تقطعت

منه عقائد سالك ، لم يوصل

وفي قصيدة أخرى يحاور الطير مقارناً بين حالهما فيجد نفسه

أكبرهما وأحزن قابلاً (٣) :

(١) الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية : د. اخلاص نخري ص ٩٧ .

(٢) موسوعة الشعر العربي : مطاع صفدى : ص ٤٥٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٨

كيف السلو، وما سمعت مماثما  
 يندبن إلا كنت أول منشد  
 وسألت طير الدوح: كم مثلي شجا  
 بأنيته وحزنيه المتردد ؟  
 ناديت به ، ومدامعى منهلة  
 أين الحللى من الشجى المحكمه  
 لو كنت مثلى ، ما لبثت ملاوة  
 وهتفت فى غصن الفقا المتأرد  
 ويتأسى النابغة بالحامة أيضا (١) :  
 أسائلها ، وقد سفحت دموعى  
 كأن مفيض من غروب شن  
 يسكاه حمامة تدعو مديلا  
 مضجعة ، على فنن تغشى

لكن تلك الاشارات الموجزة العجلى فى الشعر الجاهلى تنمو مع  
 تطور الثقافة ، وارتفاع الفن الشعرى ، فنجدها فى العصر الاسلامى  
 تتحول إلى صورة شعرية رائعة ، يتخذ الشاعر فيها من الحمامة رمزا

---

(١) فى الشعر الاسلامى والاموى : د. عبد القادر القط ص ٦٣ .

أو معادلا موضوعيا ويمكن على تفصيل المقارنة بينهما من جوانب  
متعددة لينخلص في النهاية إلى تماثلهما في الألم . يقول حميد بن ثور  
الحلالي ، وهو شاعر مخضرم أدرك عمر بن الخطاب (١) :

وما حاج هذا الشوق إلا حمامة  
دعت ساق حر ، ترحمة وترنما  
تبيكي على فرخ لها ، ثم تغنـدى  
مولودة تبغى له الدهر مطعما  
تقول منه مؤنسا لانفرادها  
وتبيكي عليه إن زقا أو ترنما  
عجبت لها ، أنى يكون خناؤها  
فصيحما ، ولم تغفر بمنطقها فما  
فلم أر عزونا له مثل صوتها  
ولا عرييا شاقه صوت أعجمها  
كمثل إذا غنيت ، ولكن صوتها  
له عولة ، ليرفهم العود أرزما

(١) المرجع السابق : ض ٦٣ ، ساق حر : ذكر الحمام القمري  
أعجمها : لا يفصح ، ويقصد الحمامة ، العود : الجمل المسن ، أرزما :  
حن وتشوق .

ويتكرر الرمز في أبيات وقصائد أخرى ليصبح أداة فنية جديدة يستمعين بها الشاعر الإسلامي على مريد من التأمل والايحاء، ويبتعد بها عن الخطابية والمباشرة ، وهو يوقع في رموزه مستلهما كل مظاهر الطبيعة، يقول ابن الفريزة النمشلي أثناء معركة جوزجان ببلاد فارس (١) :

وما بي أن أكون جوعت ، إلا

حنين القلب للبرق البقاني

والبرق أيضا يهيج الذكرى والحنين عند شاعر آخر أحسن غربة الروح بمد غربة البدن حين خرج غازيا بعيدا عن مجد ، ليس البرق وحده الذى شاقه من الوطن ، بل أفقار وجرة ، وريح الخزامى ، وريا حبيبة القلب، كلها رموز للوطن تشير الشاعر وتحرك شجونه ، ويتحدث عنهما فيصور من خلال الحديث أشواقه وشجونه (٢) :

أتبكي على نجد وريا ولن ترى

بعينيك ريا ما حديث ولا نجدا

ولا مشرقا ما عشت أفقار وجرة

ولا واطئا من ترين ترى جمدا

ولا واجدا ريح الخزامى تسوقها

رياح الصبا تملو دكادك أو وهذا

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٦٣

(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣١٢

ألا أيها البرق الذي بات يرتقى

ويجملو نجى الظلماء ذكرتنى نجدا

ويقتسح الرمد ويشمل الأرض بكل ما عليها : التراب والمطر  
والزهر، بل والنخيل أيضا فهي ومن السكن والأهل والدفء والحنان ،  
لأنه شاعر لم يعم بتشبيه اسمه في ذاكرة الرواة ، كفاه أن زفر حنينه  
واستراح (١) :

حنينا إلى أرض كأن ترابها

إذا أمطرت ، هرد مسك وعذير

بلاد كأن الأفحوان بروحه

ونور الأقاحى ، وشى برد محير

أحنّ إلى أرض الحجاز وما جتى

طرف يقصر

١٣١ بنساختر فصل رقيق في ديوان الشعر العربي سوف ينظم عبر  
العصر الإسلامى الأول ، ثلاثيه في عهد النبوة والراشدين ، ثم  
يستوى داني القطاف عبر العهد الأموى ، وتتفرع منه دوحة عظيمة  
باسقة تظلل سماء الشعر الأندلسى ، فصار يجمع إلى رقة المعاني ورقة  
اللغة أدوات فنية ناضجة تعتمد الرمد والإيحاء ، مستلهمة رموزها  
من الطبيعة بكل عناصرها الناطقة والصامتة من طيور مختلفة ونباتات

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

محبابنه وسبيل ووديان وأنهار وبحار ورياح وأمطار ، وتوزع  
أغراضه بين الغزل العذري الشفيف وبين الحنين إلى الوطن .

(٥) مقطوعات وقصائد في أوزان مختلفة : يرى الدكتور شوقي  
حنيف أن أغلب شعر الفتوح مقطوعات قصيرة موجزة ، ارتجلها  
المجاهدون بالروية أو أناة ليصوروا أحداث القتال ذات الإيقاع  
السريع ، فهي أشبه بتقارير وبلاغات تصدر من الميدان حاملة أخبار  
المعركة ، موجزة أحوال المحاربين ، مبشرة بالنصر ، مطمئنة للأهل  
والوطن . كما يرى الأستاذ الكبير أن الرجز هو الوزن الغالب على  
شعر الفتوح ؛ لأنه اللحن المناسب للمواقف السريعة والأحداث  
المتتابعة (١).

وفي تصويري أن هاتين الملاحظتين تصدقان على بعض شعر الفتوح  
وليس كله ، لأن فيه قصائد طوال كما ضم أوزاناً متنوعة غير الرجز .

أما الشعر الإسلامي عامة ، فقد حوى كل الأنواع بين مقطوعات  
قصار، وقصائد متوسطة ، وأخرى طويلة، وكذا سبج الشعراء المسلمون  
في أغلب الجهور الشعرية ونظموا في جميع الأوزان حسب تنوع  
الأغراض وتعدد المواقف .

(٦) العاطفة والانفعال : من المسلم به أن توهج الشعور وإثارة

---

(١) راجع : المصنف الإسلامي : ص ٦٦/٦٧

المحافظة وحدة الانفعال ، كل ذلك هو العامل الاول والاخر في انبثاق  
الشعر وتفجير ينباءه .

وإذا كانت الحمية والصراع في الحروب القبلية من أهم عوامل  
ازدهار الشعر الجاهلي ، حتى أن مكة لم تعرف شعراء لأنها ظلت  
بمناى عن الصراع إلى بعث الرسول ﷺ ، فكيف وقد غدت المعارك  
القبلية الصغيرة حروباً طويلة متجددة مع أمم أخرى ، وكيف وقد  
صار الصراع عقائدياً بين الإيمان والكفر ، بين التوحيد والشرك ؟  
وكيف إذا أصبح النصر بإعلاء كلمة الحق ونشر لواء الدين  
أو الاستشهاد في سبيل الله هو الغاية ؟

كيف يكون الشعر إذا توافرت له كل تلك البواعث المشيرة ؟ ثم  
توافرت له بالإضافة لها بواعث الحنين والاغتراب برحيل المجاهدين ،  
وبواعث الدهشة والانهار بالبلاد الجديدة المفتوحة ؟

وكيف إذا عصرت قلوب الشعراء مع كل ذلك بالدين القيم ، وسمعت  
نفوسهم بالقيم الأخلاقية والإنسانية الرفيعة ؟ لقد تفاعل ذلك جميعه  
ليولد موهبة الشعر لدى عشرات أو مئات لم يكونوا من عترة في الشعر ،  
بل كانوا يقولونه في لحظات من الانفعال القوي لفقد عزيز أو اغترابه  
في الفتوح ، أو لحنين جارف إلى موطنهم الأول ، أو للفخر بفروسياتهم  
وبألهم في حروب الفتح ، (١) .

(١) في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٤٩/٥٠



ومن هنا تناثرت عشرات ، بل مئات المقطوعات في كذب الشعر والمغازي والتاريخ والأدب لشعراء لم يعرفوا قبلها بالشعر ، وإنما حفزهم إلى نظمهم وقدة انفصال الموقف عنيفة عبر معركة أو سفرة ذلك جاءت أشعار هؤلاء المقلين تلقائية في مقطوعات قصيرة أقرب ما تكون في لغتها وصورها إلى طبيعة الحياة المصرية حينذاك ، مع شيء من التوتر الذي يستدعيه الانفعال القوي .

وبخلاصة ما يقال في مجال البناء الفني للقصيدية :

(١) ظل المطلع كما كان في الجاهلية : إما غريباً صريحاً أو يمزج الغزل بالأطال ، أو بالخمرة ، لكن أكثر القصائد يدخل الشاعر الإسلامي إلى غرضه دون مقدمات .

(٢) أول ما يلاحظ من تطور في البناء الفني للقصيدية الإسلامية ظهور وحدة الدلالة ووحدة التجربة الشعرية في عدد منها .

(٣) والتطور الثاني هو الإفادة من قصص القرآن الكريم ، وإن كان ذلك في بدايته بسيطاً ومحدوداً .

(٤) اتخذ الشاعر لاحقاً مظاهر الطبيعة رمزاً ، وكانت له بدايات قليلة في الجاهلية ، لكن الإسلاميين توسعوا فيه وأحسنوا استغلال الرمز في رسم صور فنية .

(٥) قسم كبير من شعر الفتوح صيغ في مقطوعات قصيرة وبعضه على وزن الرجز ، لكن الشعر الإسلامي عامة ضم القصائد بأطوال مختلفة ومن أوزان متعددة .

(٦) توافرت للشعر الإسلامي بواعث جديدة من التجارب الشعرية والاحاسيس المتنوعة والانفعالات القوية .

## المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم :
- ٢ - الأدب الأموي : د. محمد فتوح أحمد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٠ .
- ٣ - الأدب في عصر النبوة والراشدين ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ .
- ٤ - الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني : تحقيق إبراهيم الإبياري . دار الشعب ١٩٦٩
- ٥ - البيان والتبيين : أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوى ، دار صعب ، بيروت ١٩٦٨
- ٦ - تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : د. يوسف خايف ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٠
- ٧ - تاريخ الشعر العربي ج ١ : د. محمد عبدالعزيز الكفراوي ، نهضة مصر ١٩٨٨
- ٨ - التطور والتجديد في الشعر الأموي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧
- ٩ - التأثير النفسي للإسلام في الشعر : د. عبدالرحيم زلط ، دار الفكر العربي

- ١٠ — جريرونقائنه مع شعراء عصره : د. محمد عبد العزيز السكفراوي  
نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٨
- ١١ — حديث الأربعاء ج ٢ د. طه حسين ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٥٨
- ١٢ — الخطيئة ، البدوي المحترف : د. درويش الجندى ، نهضة مصر  
القاهرة ١٩٦٢
- ١٣ — الحيوان : أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح :  
عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨
- ١٤ — دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : د. محمد عبد القادر  
أحمد ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٦
- ١٥ — دراسات في الأدب العربي : د. عمر الطيب السامى ، دار  
الشروق ، جدة ١٩٧٨
- ١٦ — ديوان حسان بن ثابت : تحقيق د: سيد حنفي حسنين ،  
دار المعارف ١٩٨٧
- ١٧ — ديوان الأعشى الكبير : شرح وتعليق : د. محمد حسين ،  
مكتبة الآداب ، القاهرة
- ١٨ — شرح النبري على دبانت سعاد ، تحقيق وتعليق : د. عبد الرحيم  
الجل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٠

- ١٩ — شعر عصر صدر الاسلام : د. محمد عادل الهاشمي ، مكتبة المنار ، الأردن ١٩٨٦
- ٢٠ — الشعر والشعراء أبو محمد عبد الله بن قتيبة ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥
- ٢١ — العصر الإسلامي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ١٩٨٩
- ٢٢ — العقد الفريد شهاب الدين بن عبد ربه ، تقديم خايل شرف الدين ، دار مكتبة الهلال ، بيروت
- ٢٣ — في الأدب الإسلامي والأموي : د. إبراهيم عبد الرحمن ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٠
- ٢٤ — في الشعر الإسلامي والأموي : د. عبد القادر القط ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٠
- ٢٥ — فيض التذير على شرح الجامع الصغير : العلامة المناوي ، دار احياء السنة المحمدية ، القاهرة
- ٢٦ — قراءة في الأدب الإسلامي والأموي : د. محمد عبدالعزيز المواني ، مطبعة التقدم ، القاهرة ١٩٨٣
- ٢٧ — قضايا الشعر في النقد العربي : د. إبراهيم عبد الرحمن ، مكتبة الشباب القاهرة ، ١٩٧٧
- ٢٨ — لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة

٢٩ — المفجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي  
مؤسسة جمال للنشر ، بيروت

٣٠ — مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، دار الشعب بالقاهرة

٣١ — من قيثارة الشعر العربي : د. فتحي محمد أبو عيسى ، دار  
المعارف ١٩٨٠

٣٢ — نحو أدب إسلامي معاصر : أسامة يوسف شهاب ، دار البشير  
عمان ١٩٨٥

٣٣ — نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : طاهر الفاسمي ، دار  
النفائس ، بيروت ١٩٧٧

## كتب أخرى للمؤلفة

- ١ — الطائر المهاجر : شعر ط ١ دار الشروق جدة — ١٩٨٦ ، ط ٢  
مكتبة الآداب القاهرة ١٩٩١
- ٢ — وكذا الرجال : شعر مكتبة ذات النطاقين القاهرة ١٩٩٠
- ٣ — الشعر الجاهلي بين القبيلية والذاتية : دراسة أدبية مكتبة الآداب،  
القاهرة ١٩٩١
- ٤ — قراءة نقدية في الشعر العربي المعاصر نقد أدبي : مكتبة الآداب  
القاهرة ١٩٩٢
- ٥ — في القصة القصيرة والرواية : نقد أدبي : مكتبة الآداب ١٩٩٢
- ٦ — الاسلام والشعر دراسة موضوعية : مكتبة الآداب ١٩٩٢

## تحت الطبع

- ١ — شاعر عبقري ، شفيق المملوك ، دراسة أدبية
- ٢ — الحنين والغربة في شعر المهجر : دراسة أدبية
- ٣ — في صحبة شعراء المهجر : نقد أدبي
- ٤ — الشعر وهموم الإنسان المعاصر : نقد أدبي
- ٥ — قبل فوات الوقت : شعر

رقم الإيداع ١٩٩٢/٧١٦٥

الترقيم الدولي -063-241-977 I.S.B.N°



## الإِسْلَامُ وَالشَّعْرُ

- ① ليس في القرآن الكريم تحريم لنظم الشعر، أو تحفيره، إلاّ حين يتعلّق طريق الهدى، ويحيد عن الخلق والهدى.
- ② لا يعارض القرآن الشعراء ولا يذمهم، إلا إذا انحرفوا عن الحق وأساءوا للغير.
- ③ تنفخ السنة المشرفة مع القرآن، فتدعّب بالشعر منبعثاً من نفس المؤمنة الحنيفة، وتضجّ مكاناً للشعراء إن ابتعدوا عما يفضي الله ورسوله.
- ④ ساروا بأسدود والصحابة على مزج القرآن والسنة فنزّلوا الشعراء أمراً ما لم يجاروا الله ورسوله ويؤذوا المسلمين، وأخذوهم بالسدة حماية للدين والمجتمع.
- ⑤ الإسلام - ممثلاً في القرآن والسنة وسلوك التابعين والخلفاء - رصب بالشعر فناً إنسانياً مهذباً، يدعو للخير والحق والجمال.
- ⑥ لا يمكن لدعوة عالمية ترسم منبراً حياة جديدة للإنسانية أن تسقط الشعر من حسابها وسيلة للدعوة وسلاماً للجهاد ومجالاً للبلوغ الفنى.